

# المسحاة

مجلة

المجلد العاشر  
الجزء العاشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

الجديد

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد العاشر)

٧٢١

(الجزء العاشر)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
غنىاً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

# الماتحا

يقهر عباده الذين يستخفون القول فيلبسون  
أولئك الذين هم أقرأوا ولكم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

( مصر شوال سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ٥ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٧ )

## الماديون والآلهيون (١)

سجينة فلسفة صحيحة

( ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم )

« تمهيد - غرور الماديين بمعلوماتهم - الجوهر الفرد - المكان - الزمان -  
قوى المادة - ماهو البرهان الصحيح ؛ المجزآت - الفئات الطبيعية - مذهب  
داروين - القضاء والقدر - أبسط الاحياء - الفعل المنعكس في السلسلة الحيوانية -  
عمل المخ هو فعل منعكس متضاعف - الانسان مضطرب في صورة مختار - اختلاف  
أحوال المادة - الظلم - تبرة الخالق منه »

الانسان مفتون بنفسه ، مغرور بمقله ، لا يعرف من الأمور الا ظاهرها ، فيظن  
أنه أدرك برائتها ، فينه إعجابا ، وبنأى بجانبه تمردا وامتكبارا ،  
عرف الماديون شيئا من أصرار الوجود فوجدوا لذة وراحة عقلية ما كانوا  
يشعرون بها من قبل وتوهموا أنهم فهموا هذا الكون وسبروا غوره وأمكنهم التعليل  
عن منشأه وأصله بدون الاحتياج الى شيء ليسابهم تلك الالذة الفكرية التي حصلوا عليها

(١) دكتور محمد توفيق افندي صديقي الطيب بسجن طره



## ٧٣٢ عجز الماديين عن إدراك المادة . الجوهر الفرد (المنار ١٠-١٠)

قام الدين يناديهـم بالأذعان لمة الطل ومسبب الأسباب ووصفه لهم بما لم يمكنهم إدراكه ولا يقدرـون على تصوـره فكبر عليهم مادعاهم إليه . وعز عليهم ترك ما هم فيه ، فأعرضوا عن الدين وأظهروا المداء له ، وقالوا ما لنا ولهذا الهذيان ونحن (والطبيعة الحمد) قد وصلنا إلى درجة من العقل لا تتفق مع هذا البهتان الكبير شرب بعض المقلدين لهم من حياض أفكارهم فشلوا بها ، وفاتهم أن الدين الصحيح يذهب بمشبعه إلى بساين الحرية والراحة العقلية التي يمرح فيها المؤمن ، ويسلو على دوح التصورات الفكرية حتى يبلغ الملكوت الأعلى ويصل إلى معرفة واجب الوجود فينزل إلى المادة وقد عرف عليها الحقيقة التي لا يبروها الوهم ولا يدنو منها الخطأ أو الشك

إن كان الماديون يذكرون وجود الله لأنهم لا يمكنهم أن يدركوا كنهه تعالى فأبي شيء . أدركوا؟ هل أدركوا المادة . أم هل أدركوا قواها ؟  
أسمع صوتاً من بعيد أظنه من بعض الغافلين يقول « نعم قد أدركوا كل شيء » - أما قرأت علومهم؟ أما سمعت بمكتشفاتهم؟ فأبي شيء . لم يدركوا ؟  
أدن مني يا هذا ولا تسجل عليّ فأبي آتيك بالخبر اليقين . ونخبرك بحقيقة علمهم .  
ففكر معي تفكيراً ، وتروّ في الأمر طويلاً ،

خذ قطعة من أبسط الأشياء كالحجر مثلاً واسحقها ثم خذ بين أصبعيك منها أصغر ذرة فقد رعلها ثم سر في تقسيمها إلى أصغر منها بالعقل . فهل تقف عند حد أو لا تقف؟ إن قلت أنك لا تقف قلت إذاً هذه الذرة مركبة من ذرات ( ١ ) لا عدد لها وليس لها حصر . فكيف ذلك وهي محصورة بين أصبعيك قلبها كيف شئت؟ فهل يكون غير المتناهي متناهياً وغير المحصور محصوراً؟ أي تناقض أصرح من هذا؟ وإن قلت أنك تقف عند حد سألته هل الذرة التي تقف عندها لها امتداد أم ليس لها امتداد . فإن كان لها امتداد فلم لا تصور تقسيمها ولم تقف عندها ؟ وإن لم يكن لها امتداد ( وهو الصحيح ) فهل يمكنك أن تدرك ما بهتك أو تصورها

(١) هذا بقطع النظر عن نظريات علم الكيمياء واصطلاحاته فإنها لا تناقض

هذه المسألة

في فكرك؟ كلا !! إذا أنت لا تدرك شيئاً من مادة هذا الوجود الواقع تحت حركتك؟ فكيف برأجب الوجود (والله تعالى) !! ولم ننكر وجوده وقد قامت عليه الدلائل القاطعة كالتي بيناها في بعض مقالاتنا السابقة في المنار؟

تفكر ثانياً في تلك الذرات التي لا امتداد لها فهل يمكنك أن تتصور كيفية اجتماع بعض أجزائها ببعض حتى تتركب منها الاجسام الشاغلة للفراغ؟ اذا وضع ثلاث منها بعضها بجانب بعض فهل تثبت للوسطى منها جانبيين أم لا؟ فان أثبت ذلك لها كان ذلك تقضا لقولك الأول انها لا امتداد لها وأمكنك قسمتها . وان لم تثبت لها الجوانب فهل تتصور كيفية وجودها واتصال بعضها ببعض؟ كلا إنه لا يمكنك ولا يمكنك ذلك اذا لا يمكننا أن نتصور حقيقة الاجسام ولا الفراغ ولا المكان لأن ما يقال في الاجسام يقال مثله في المكان وما قيل في الذرات التي لا تقسم (وهي الجواهر الفردة عند الفلاسفة والمفكرين) يقال في النقط الهندسية عند الرياضيين ثم تفكر ثالثاً في وجود هذه الذرات منذ الازل على اعتقادك مع قولك بحركاتها التي ليس لها أول وخز حركتها منها لتشكل عليها . أليس قبل هذه الحركة حركات لا عدد لها لأنها أزلية كما نقول؟ واذا كان الأمر كذلك فكيف أمكن اقضاؤها جميعاً وكيف جاز أن تأتي تلك الذرة بحركات لا عدد لها قبل كل حركة . أليس ذلك قولاً بأن ما لا يعدد أمكن عدده؟ وما لا يمكن الاثبات عليه قد أمكن الاثبات به؟ أوليس هذا تناقضاً بيننا؟

ومثل الحركات الأزلية لحظات الزمان فانه يستحيل وجودها منذ الازل فهل يمكنك بعد ذلك أن تقول بأنك تفهم الازل أو تفهم الزمان؟ إلى هنا قد تبين بأجلي برهان أن المادي لا يفهم كنهه المادة ولا مكانها ولا زمانها

إنه كما خرج من تناقض سقط في آخر . فهل يفهم شيئاً من خواص المادة وقواها؟ إن المادة قوى كثيرة عرفنا بعضها كالكهربية والمغناطيسية والجاذبية العامة بين الأرض والاجسام التي عليها وبين الأجرام الكونية بعضها مع بعض أليست كل هذه القواظ لا تعرف لها معنى حقيقياً . وما مثلنا في ذلك الا كمثل الذي دفسر الماء بعد الجهد بالماء ؟



## ٧٣٤ الجاذبية . البرهان . التناقض . الجائز والمستحيل ( المثار ١٠ - ١٠ )

خذ مثلاً قوة الجاذبية التي بين الشمس وأحد السيارات كالأرض أو كزحل  
فما هو هذا الشيء الذي به الجذب ؟ هل هو مادة أو غير مادة ؟ فإن كان مادة  
فكيف يحصل به الجذب ؟ وإن كان غير مادة فهل يمكننا تصوره ؟ وكيف يحصل  
الجذب بين الحديد والمغناطيس ؟ وما الجواب الثاني عن مثل هذه الأسئلة ؟

فإذا كان الماديون لا يفهمون المادة ولا زمانها ولا مكانها ولا قواها فأي شيء  
يفهمون أو يدركون ؟ أنهم لا يلمنون الا ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الحقائق غافلون  
وإذا لم يكن عدم إدراك الشيء عقبة في سبيل التسليم بوجوده فلماذا ينكرون  
وجود الله تعالى ؟ وأي فرق بين المادي والآلهي في الحرية العقلية والآلهي  
يعتقد بوجود أشياء لا يدرك عقله كنهها لأنه قام عنده عليها الدليل . وكذلك  
المادي يعتقد ولا يمكنه أن يدرك كنه ما يعتقد ؟ فهل يكون أحدهما أكثر تمتعاً  
بالحرية العقلية من الآخر ؟ كلا !! فماذا ينتخرون ؟

إن عدم إدراك الشيء ليس دليلاً صحيحاً في نظر العقل على عدم وجوده  
وإلا لأمكننا أن نقول إننا لا ندرك شيئاً من كنه هذا العالم المحسوس فهو غير  
موجود : حينئذ تقع في السفطة . ومن بلغت به درجة المكابرة إلى هذا الحد  
فلا يصح خطابه . ولا التكلم معه لأنه ليس بما قل

البرهان الصحيح على وجود الشيء أو عدمه ( إن لم يكن محسوساً ) هو ما بني  
بناءً منطقياً صحيحاً تنتهي مقدمته إلى البديهيات العقلية . وأشهر هذه البديهيات  
وأكثرها وروداً في الأدلّات : أن الضدين لا يجتمعان وقد يرتفعان ، والنقيضين  
لا يجتمعان ولا يرتفعان : مثال الضدين البياض والسواد . ومثال النقيضين البياض  
وعدمه أو النفي والاثبات في كل شيء . فكل ما أدى القول به إلى ما يخالف  
البديهيات كان باطلاً واستحال وجوده وكل ما لم يؤد إلى ذلك كان جائزاً وامكن  
وجوده وإن لم يمكن للعقل إدراك كنهه ومعرفة كيفية وجوده . ويجب الايمان به إن  
قام عليه الدليل وإلا بقي في حيز الامكان

هذه المسألة هي أصل الأصول . ومرجع البشر قاطبة في جميع علومهم  
الصحيحة ومن لم يفهمها ولم يمكنه أن يميز بين ما يصادم البداهة وبين ما لا يمكن

إدراك كنهه فهو غير أهل لأن يتلقى شيئاً من العلوم العقلية . ولا يمكنه أن يعرف الحق من الباطل ولا أن يفرق بين الخطأ والصواب

وإذا كان عدم إدراك كنه الشيء ليس موجبا لانكاره كما قررنا فن باب أولى نكون مخالفة الشيء لما اعتدناه لا تقتضي عدم تصديقه . فن انكر خوارق الماديات ( المعجزات ) التي يدعيها أهل الملل لانياتهم وجزم بعدم امكان وقوعها لذلك السبب ( أي غرابتها واستبعادها ) فهو يخيف العقل جاهل إذ ليس كل غريب مستحيلا وإلا لما أمكن للبشر إنطاق الجماد ( كما في الفيزوغراف ) ونقل الكلام الى مسافات بعيدة كما في ( التليفون ) والسير بسرعة عجيبة كما في آلات البخارية والكهربائية الى غير ذلك من الاختراعات الفيزية التي ما كان يعلم بها الاولون ولو أخبروا بها لكذبها أكثرهم كما يكذب المعجزات بعض أهل هذا الجيل الحاضر الذين فتوا بمعلوماتهم التي هي بالنسبة لماخفي عنهم ليست الاجهالات مركبة

ولو عمل الانسان بهذا المبدأ السخيف وهو الجزم باستحالة الشيء لعدم اعتياده له لما تقدم خطوة الى الامام في سبيل الاختراع والاكتشاف. أما إذا كان انكار المعجزات مبنيا على ادعائهم استحالة خرق نوااميس الطبيعة فهي دعوى لا يمكن اثباتها ووجودها في عالم الحيوان والنبات من الشواذ ما يكذبها ولا يمكن تعليلها ولا نبين سبب مخالفتها للمعهود كما في الاجنة التي تولد مختلطة بعضها ببعض أو ناقصة أو زائدة عضواً أو جزءاً منه . فلم لم نهر هذه الاشياء على ما اعتدناه؟ على أننا لا نعرف جميع نوااميس الكون حتى نجزم بأن كل ماخالف ما علمناه منها يكون خارقاً لما فلم لا تكون تلك المعجزات تابعة لنااموس لانفله الى الآن؟ ومتى علمناه أمكننا تفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً

ألم تر الى العلماء قبل ان جاء داروين بنظريته في ارتقاء الأنواع بعضها عن بعض كيف كانوا لا يفهمون معنى للأعضاء الاثرية ولا يدركون سبباً لظهور بعض الاشياء في أجنة الحيوانات ثم انمحائها قبل ان تقوم بأية وظيفة أو تؤدي أي عمل كالاسنان التي تظهر في طور التكوين في الفك الاعلى لأجنة الحيتان



والحيوانات المجترة ولا عمل لها إذ ذاك ثم نزول ولا يبقى لها أثر حتى غلب بعض الناس أن ظهورها هذا عجب ولو لم تشاهد بالحس لانكر المكابرون وجودها . فليأدب الانسان وليعلم أنه لم يؤت من العلم الا قليلا . ولا يفترن بما علم من ظواهر الامور

الانسان طائش . اذا جهل حكمة شيء اسرع بتكذيبه وانكاره . ولكن ذلك لا يغنيه عن الحق قليلا . جهل حكمة الخالق لهذا الوجود وكنهه فتسرع في انكار وجوده فهل أراحه ذلك بما أحاط به من المضلات التي يناجيها عقله ويطلبه مجلها ؟ أنت مسكين أيها الانسان : وبغلك حيوان !!

نظر المادي نظرة سطحية في الكون . ودعاء الدين للإيمان باليوم الآخر وبفضاء الله وقدره . فقال : لو آمنت بذلك لآمنت بظلم مبين ، فأنا أنكره كله لأستريح من هذا العناء الأليم ، والتجأ الى جحر التكذيب فلقته فيه ما فر منه ، ولكي تفهم ذلك يجب أن تصفى لما سأتلو عليك : -

إن أبسط الأحياء في هذا العالم ما كان ذاتية واحدة كالحیوان المسمى « أميبا » هذا الحيوان هو قطعة صغيرة من مادة حية تسمى البروتو بلازم (١) ولها من خواص الحياة ما هو معلوم للفسيولوجيين فاذا نبهت بأي منه تحركت

إذا ارتقينا الى ما فوق هذا الحيوان في الرتبة وجدنا أن هذه الخاصية وهي إجابة التنبيه بالتحرك أخذت في التضاعف في الحيوانات المركبة وامتاز بعض أجزائها ( وهي أيضا عبارة عن خلايا بروتو بلاسمية ) باقحام بها دون سواها . فبعد أن كانت « الأميبا » هي التي تقابل بنفسها التنبيه فتتحرك بجملتها صافي الحيوانات الراقية بعض الأجزاء مختصا بمقاولة التنبيه فتجيب عنه أجزاء أخرى بالحركة . أما الأجزاء الأولى فهي الأعصاب الحساسة التي تحمل التنبيه إلى المراكز العصبية كاتي في النخاع الشوكي فيرتد فيها إلى أعصاب أخرى تسمى الأعصاب المحركة حتى يصل الى العضلات فيؤثر فيها تأثيرا مخصوصا يظهر لنا بانقباضها . وهذا هو

(١) هي كلمة يونانية ومعناها المكون الأول لأنها عنصر الحياة ومنها ركب

كل حي

## (المنار ١٠-١٠) طبيعة فعل الانسان وكونه محبورا ٧٣٧

ما يسمى بالفعل المنعكس ( ومن أراد زيادة التفصيل فعليه بكتب الفسيولوجيا ) وهو يشاهد في جميع الحيوانات حتى في الانسان نفسه . ولو أعقنا العلاقة بين المخ وبين النخاع حتى لا يبقى لارادة الانسان سلطان عليه تم هذا الفعل أيضا رغم أنه كما يشاهد في حالات البارابليجيا أي الشلل النصفي السفلي وكذا في إصابات النخاع الحارضة إذا كانت فوق المرا كز التي تقوم بالفعل المنعكس

أما ما يصل الى المخ من التنبيهات بواسطة الحواس فليس من الضروري أن يجيب عنها في الحال كما هو شأن النخاع وشأن الحيوانات الأولية . ولكننا تحدث فيه آثارا مخصصة عليها مدار ما يأتيه الانسان من أقوال وأفعال

قال العلماء الفسيولوجيون والبيسكولوجيون إن أعمال الانسان هي أفعال منعكسة مركبة متضاعفة . والفرق بين ما يأتيه باختياره وبين ما يحصل بدون اختياره ( كالأفعال المنعكسة للنخاع ) إنما هو في مدة حصول كل منهما كما صرح بذلك العلامة أغسطس د . وللمر الفسيولوجي الشهير فالفعل القهري يتمكس بسرعة وما نسميه اختياريا يتمكس ببطء وكلاهما في الحقيقة فعلا منعكسان . ولا يصدر عن الانسان إلا ما كان نتيجة ما وصل إلى مخه مما أحاط به من الظروف والأحوال وما لحقه بسبب الوراثة الطبيعية عن الآباء والاجداد

فالانسان في الحقيقة مضطرب في صورة مختار كما وصفه بذلك عندنا علماء الكلام كالامام فخر الدين الرازي . فهو ليس الا آلة لانعكاس ما حوله ولا يصدر منه شيء ابتدائي مطلقا . اذ جميع أعماله إنما هي نتيجة تربيته ومعلوماته وما ورثه وما أحاط به من ظروف وأحوال وغيرها أي هي نتيجة مزاجه والوسط الذي نشأ فيه وإلا فكيف تفسر ميل هذا للشر وميل ذاك للخير اذا كان كل شيء فيهما متساويا ؟ على أن القول بتساوي البشر في الطباع والاخلاق والظروف مما يكذبه الحس والعيان . ولو كان صحيحا ما وجد بينهم اختلاف ما في الميل . ولو وجد الاختلاف لجاز حصول الحلول بدون علة أو الترجيح بدون مرجح وهو محال



## ٧٣٨ هل تألم الحيوان وتفاوت الناس ظلم (المنار ١٠-١٠)

هذا هو تقرير العلم والمقل هذه المسألة. فإذا كان البشر لم يخلقوا متساوين وليسوا في الظروف متقنين (ولا دخل لهم في ذلك) وجميع انفعالهم ليست الا نتيجة تركيبهم. والموتورات المحيطة بهم - اذا كان الامر كذلك فهل يقال أن لهم ارادة حقيقية متصرفة في شيء؟

الحق أقول ان اختبارهم ليس إلا أمراً ظاهرياً. وإذا كان كذلك فلماذا نناقشهم على ما يرتكبون في هذه الدنيا وهم لا شك اليه مسوقون، وعليه مدفوعون؟ الجواب سهل وهو أن المقاب من العوامل المؤثرة في النفس فتزعج له وترتدع بسببه وكذلك يؤثر في نفوس غيرهم ممن رأوه أو سمعوا به، فتقل الشرور في هذا العالم (ولكم في قصاص حياة يا أولي الالباب) ولكن هل يسوغ لنا هذا ظلمهم بالمقاب مع علمنا بأنهم مكرهون؟ ان كان هذا غير مسوغ فنحن اذاً جميعاً ظالمون!! وهناك مسألة أخرى أيها المادي. وهي لماذا كان بعض المادة جهادا لا يشعر وبعضها الآخر نباتاً أو حيواناً يحس ويتألم وينفذ؟ ولم كان الناس مختلفين ما بين غني وفقير وصحيح ومريض ومنعم ومعذب وفرح وحزين الى غير ذلك من التباين والاختلاف بين اجزاء المادة؟ أليس هذا ظلماً في رأيك؟ فان كان ظلماً فالكون كله ظلم في ظلم ونحن ظالمون مظلومون ولا يخلصك من ذلك انكارك لوجود الخالق أو اقرارك به فانت أنكرت ما أنكرت فرارا من القول بالظلم فوقيت فيه!!

قد يقول إنني بانكاري الخالق تكون تبعة هذا الظلم ليست واقعة عندي الا على الوجود ولكنها عندهم واقعة على الآلهة: ونقول ان الظلم أمر اعتباري فما نسميه أنت ظلماً يراه الآخر عدلاً ولذلك اختلف الناس في ذبح الحيوان وأكله مثلاً فبعضهم يستقبح ذلك وبعضهم لا يرى فيه عيباً فما عرفت به الظلم بمثل ذلك فيه غيبك ويقول ان الظلم هو التصرف فيها ليس بحقوق المتصرف. والعدل هو تصرف المالك في ملكه بما يرى. فإذا ملكك بعضاً من الانعام قد بحت بعضها وأطاعت بعضها الآخر قلت بظالم وإذا خول القانون القاضي الحكم في مسألة باحدى عقوبتين فاختر ما شاء منها فليس بظالم. وان لم تسلم هذا

## (المنار ١٠ - ١٠) إرادة الباري وتعلقها بالأزلي بالاشياء ٧٢٩

التعريف أو ما يقاربه وأصررت على القول بالظلم فنحن لا نرى فرقا حقيقيا بين قولك ان تبعة هذا الظلم عندك على الوجود أي ليست على أحد بعينه وبين زعمك ان تبعة عندنا على الله لأن الله تعالى فعل ما فعل حسب ما قضت به ارادته الأزلية ولم يكن في الامكان غير ما كان. لأن الارادة في جانب الله معناها تخصيص بعض الممكنات ببعض الممكنات الاخرى وهو ما يسمى بالترجيح . وهذا الترجيح حاصل منذ الازل أي لأول لوجوده فلا يمكن أن يوجد غيره . أما دعوى أنه أزلي وأنه كان يمكن وقوع غيره كما يدعيه بعضهم فهي مصادمة لبداية العقلية . وان قيل ان الارادة صالحة لترجيح هذا على ذاك ولكن لم يقع الترجيح بالفعل الا في غير الازل أو كما يعبر المتكلمون في مثل ذلك ان لها تعلقين : تعلقا صلوحيا قديما وتعلقا تنجزيا حادثا (١) ان قيل ذلك قلنا ان اختيار هذا الشيء دون ذلك مع انها بالنسبة له تعالى سواء من كل وجه هو عين الترجيح بلا مرجح . ولا يصح أن يقال ان صفة الارادة هي المرجحة لأن نسبتها أيضا لاحدهما كنسبتها الى الآخر تماما . ولو اختلفت النسبة لكان الترجيح أزليا والا لتخلف المماثل عن علته وهو محال . وان كان المرجح شيئا غير الارادة فإما أن يكون قديما أو حادثا فان كان قديما لا يمكن تخلف المماثل عن علته كما قلنا وان كان حادثا يحتاج هو لمرجح يرجع وجوده على عدمه وذلك يؤدي الى القول بالتسلسل وهو باطل . وان لم يكن هذا ولا ذاك بان كان المرجح يوجد في المستقبل ( وهو غير معقول ) فلم كان الترجيح لاجله حادثا ولم يكن أزليا ؟ فلا مفر اذا من القول بأن تعلق الارادة بالتنجز هو قديم أما التعبير عن الارادة بالمضارع بدل الماضي في نحو قوله تعالى ( ذو العرش المجيد فعال لما يريد ) فله شواهد كثيرة في اللغة وفي القرآن الشريف كقوله تعالى ( لو يطعكم في كثير من الأمر لعنتم ) بدل أطاعكم . ويراد به إفاضة استمرار الفعل . فمضى الارادة القضاء الأزلي الذي أوضحناه وقد قضى تعالى بما قضى ولا يزال قضيا به . وجميع ماورد في حقه تعالى من أمثال ما يستعمل في حق البشر كالرحمة

(١) المسلمون يقولون إن كليهما قديم كما ينبرهان ذلك في المتن ( كذا في الاصل )



والغضب والكره ونحوها له معان في جانبه غير معناه في جانبنا . فتفسر هذه الالفاظ في كل مقام بما يناسبه وبما يليق بالله تعالى وصفاته . مثلاً إذا قيل « الله رؤف بعباده » فعناه أنه تعالى هو المنعم عليهم بكل خير أو نحو ذلك لأنه جل شأنه منزّه عن الانفعالات النفسية والاضطرابات العصبية والجولات الفكرية . فليست رأفته أو غضبه كراقتنا أو غضبنا تعالى عن ذلك علواً كبيراً وليست أفعاله مسبوبة بفكر أو تردد أو ما شابه ذلك من صفات المحدثين

والخلاصة أن ترجيح بعض الممكنات على بعض حاصل منذ الازل فما كان يمكن أن يحصل غيره اذ لم يسبق بعدم ولم يكن لوجوده أول . فان سلم أن فيا حصل ظلم فلا تبعة فيه على أحد لأنه تعالى هكذا موجود من القدم ولا بد من انفاذ ما كان بلا تردد . ومن تفكر فهم . ومن تعمق عرف . ولا أزيد عن ذلك فسر القضاء أو شك أن يتضح . بل هو العارفين قد انضج . إذافا بمجده المادي من الحرية في جموده بمجده الموءن في ايمانه . ولكن الموءن يفوقه في كونه عرف علة الوجود وما اقتضته فخلص من التناقض الذي وقع فيه المادي بسبب زعمه قدم الجواهر الفردة على ما بينا هنا في صدر هذه المقالة وفي مقالتنا الاخرى في الالهيات التي سبق نشرها في المنار

فهذا هو ما أردت بيانه (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين)  
الدكتور محمد توفيق صدقي طيب بسجن طره

( المنار ) ما كتبه الدكتور في الإرادة والاختيار غير محرر وقد أطل في ذلك المتكلمون وأوردوا فيه ما قيل من أن تعلق الإرادة الالهية بفعل الشيء يقتضي وجوبه واستحالة مقابله وبذلك ينفي الاختيار واجابوا عنه بأن الإرادة لا تعلق الا بفعل الممكن لذاته وما كان ممكناً لذاته اذا صار واجباً بتعلق الإرادة به كان وجوبه عين الاختيار اذ لا معنى لاختيار الباري تعالى الا كون ما يصدر بقدرته من الافعال له انما يصدر بتخصيص ارادته لذلك الفعل على ما يقابله من الممكنات فلاختيار عند المحتتمين لازم للإرادة لزوماً عقلياً وببعضهم مجعاً بمعنى واحد وغاية ما فرق به المدققون بينهما هو ان المختار ينظر الى الشيء وإلى مقابله ويرجح احد المتقابلين أو

المتقابلات على غيره والمريد ينظر الى الشيء الذي يريد فيحرك القدرة الى فعله . يعني ان كلام الارادة والاختيار يفيد التخصيص وال ترجيح ولكن الفاعل للشيء يسمى مريدا له باعتبار القصد المجرد ويسمى مختارا باعتبار ملاحظة شيء آخر غير ما قصد الى فعله منه كان يمكن ان يكون بدلا منه لولا الترجيح والتخصيص

وأظهر من هذا ان يقال الاختيار عبارة عن كونه تعالى غير مكروه ولا مجبور على ما أراد وما يريد لانه ليس فوقه سلطان يلزمه بشيء ما فتكون ارادته تابعة لارادته فارادته مستقلة بالتخصيص بحسب علمه . أما نحن البشر فانا قد نعلم أن المصلحة في فعل كذا وان مقابله مفسدة ونحب أن نفعل ما هو المصلحة ولكننا قد نخصص ونرجح المفسدة باكره من هو اقوى منا سلطانا فلا تكون ارادتنا مستقلة بالتخصيص ولا نحن مختارين في العمل وقوله ان فهم الارادة والاختيار بهذا المعنى يستلزم الترجيح بلا مرجح مصادرة فان الارادة اذا لم تكن هي المرجحة لزم في الوجود الترجيح بلا مرجح لا اذا كانت هي المرجحة يلزم ذلك كما يقول

نعم ان ما يخصص بالارادة يكون على حسب الداعي وهو العلم والمعلم ليس يلزم بالفعل ( ونريد به ما يم الكف والترك ) لانه عبارة عن انكشاف المعلوم فتوجه نفس الفاعل الى فعل بعض المعلومات دون بعض معنى آخر يسمى ارادة ومشيئة ومن اثبت الارادة المستقلة يكون مثبتا للاختيار . و ارادة العالم الفعل تكون عند الفعل حتما وقد تكون قبله بمعنى أن نفسه تكون متوجهة الى فعل كذا في زمن كذا من المستقبل ولذلك قالوا ان للارادة تعلقا قديما أزليا وتعلقا حادثا وما ذكره الدكتور صديقي في الهامش من كون الارادة ليس لها التعلق قديم غير صحيح لانه يلزم منه أن يكون تعالى غير مريد للشيء عند ايجاده بالفعل وهو بديهي البطلان على أنه هو قد صرح باستمرار الارادة الازلية والمراد منه ومن التعلق الحادث واحد لكن ما يتبادر الى الفهم من مجموع كلامه في هذا المقام يخالف لما هو مقرر في العقائد ومن يتأمل فيه يتشبه منه انه بما قرره من ازية الارادة وعدم امكان شيء غير ما قضت به في الازل حاول ان ينفي ما يبر عنه القدرية بقولهم « الامر أنف » ( بضم الهمزة والتون ) أي ان الله لم يقدر الامور ولم يعلمها ازلا وانما



٧٤٢

ارادة الباري واختياره ونزعه عن الظلم (النتار ١٠-١٠)

يأتونها علما حال وقوعها . واقتاتلون بهذا هم غلاة القدرية المتقدمون ويقرب من عقيدتهم ما يفهمه كثير من العوام من معنى الاختيار قياسا على اختيارهم الذي يكون بعد تردد وبعد مخالفة لقصد سابق

ومن مقاصد القدرية في مذهبهم نفي الظلم عن الباري عز وجل وهو ما قصده الدكتور صدقي بنقيض مذهبهم ولكنه على موافقته لاهل السنة في الارادة الازلية من جهة قد خالفهم من جهة أخرى فجعل الارادة منافية للاختيار . وعلى موافقته لهم في نفي الاعتراض على الباري بالظلم خالفهم في طريق الاستدلال فوقع في شر مما هرب منه اذ جاء بما يوهم جواز وقوع الظلم الحقيقي مع الاعتذار عنه بكونه أزلية وكل ذلك لعدم تحرير العبارة فيما أظن

وجملة القول ان جميع الممكنات التي نعرفها وفي حكمها مثلها مما لم نعرفه من الموجودات صادرة عن الوجود الواجب الازلي أو قل عن واجب الوجود القديم ولما كانت مشتملة على النظام والاحكام دلت على أن لواجب الذي صدرت عنه قد أوجدها بعلم كامل وارادة مستقلة وأنه مختار في ذلك لا مجبور ولا مكره . ولما كانت ارادته للاشياء عن علم محيط وجب أن تكون افعاله كلها موافقة للحكمة البالغة والنظام التام والعدل التام فلا يقع منه الظلم لا لأن ما نفهمه من معنى الظلم إن وقع منه تعالى لم يكن ظلما كما يقول الاشاعرة فإن هذا غير صحيح كما بيناه في التفسير من هذا الجزء ولا لأنه أزلي وارادته أزلية كما قال الدكتور صدقي فإنه تعالى منصف بالكمال في الازل وفيما لا يزال ، والظلم ينافي الكمال ، وهذا الذي ما قرناه هو ما كان عليه السلف الصالح في مسألة استعانة الظلم عليه تعالى . وما يظنه الجاهلون بالله وبسنة ظلال الخرافة لاهوائهم يسهل على العارفين بالله ان يبينوا لهم أنه ليس بظلم

وأما ما قاله في مسألة كون الانسان مجبورا غير مختار في افعاله فله فيها وجه فلسفي يقول به بعض فلاسفة الافرنج الآن وصبقهم اليه بعض أئمة المتكلمين والحكماء من المسلمين والفرزالي فيه أقوال من قبيل أقوال فلاسفة الافرنج من أوضحها وأبلغها بما كتبه في كتاب التوحيد والتوكل من الاحياء . وقد اشتبه

٧٤٣

التدوين في الاسلام

(المنار ١٠-١٠)

على أكثر علمائنا الفصل بين هذا النوع من الجبر وبين الجبر الذي يعترض به على أصل التكليف والفرق مثل الصبح ظاهر فمدار التكليف على ما يعلمه الانسان من نفسه علما ضروريا من أنه متمكن من فعل هذه التكليف وتركها وهذا التمكن يسمى اختيارا ويسميه الاشاعرة كسبا ولا ينبغي كون الانسان لا يعمل عملاً الا بعد العلم بأن فعله خير له من تركه وتكون هذا العلم منه الضروري وغير الضروري وان ما كان منه غير ضروري في بدايه يصير ضروريا بعد الجزم به كما هو ظاهر أو كون هذا العمل فعلا منعكسا بسرعة أو ببطء . وربما عدنا الى الاسباب في ذلك يوما هذا هو اعتقاد أهل الحق في هذه المسألة وما قبلها وأظن أن الدكتور محمد توفيق افندي صدقي لا يخالفه وان أوهمت عبارته الخلاف لعدم وضوحها

## خطبة التدوين في الاسلام (\*)

سأدتي الكرام

حقاً أني حري بالفخر، حقيق بتقديم واجب الشكر، على ان تنازلتم بقبولي هذه المرة خطيباً في ناديكم الجامع لنواحي الامة ونخبة أهل الفضل والعلم منها واني أعترف بأن موقفي بينكم موقف صعب لا يجرأ على الوقوف فيه ضئيف مثلي ليس في مرتبتكم السامية في العلم والاطلاع فأنتم منكم لهذا السبب المعذرة اذا ظنتم لساني واضطرب جنائي والكريم بعذر على كل حال

ولقد اخترت موضوعاً لبعثي هذه المرة أظنه لا يخلو من فائدة تاريخية مع ما أعتقد في نفسي من العجز عن اعطاء مثل هذا الموضوع أو البحث حقه من البيان والتدقيق لكن قاعدة « مالا يدرك كله لا يترك كله » ربما سمحت لي بعرض معلوماتي في هذا الشأن على مسامح سادتي الحاضرين مهما كانت قيمتها هينة في نظركم ونظر التاريخ

للموضوع - هو التدوين في الاسلام أو مبدأ الكتابة وتقييد العلم في الصحف

عند المسلمين

(\*) خطبة ألقاها رفیق بك العظيم في نادي المدارس العليا بالقاهرة



ان الذي دعاني الى اختيار هذا البحث على يده عن أذهان كثير منا لهذا المهد هو تصدي بعض الباحثين لطريق الوهن والتجريح الى العلوم التي وصلت اليها من أسلافنا في الصدر الاول كالحديث وآداب اللغة العربية والتاريخ فقد زعموا ان المسلمين لم يدونوا هذه العلوم الا في القرنين الثاني والثالث وان الاخبار التي تلقى بالرواية مدة قرنين ثم نكتب بعد ذلك الامد الطويل فلما يوثق بسلامتها من التعريف والتبديل وذلك قياس لاخبار العرب على غيرها من أخبار الامم الاخرى التي لم تكتب صحيحة في حينها وانما كتبت بعد مرور زمن طويل أو تصير عليها مشوهة بآفة التبديل والتعريف فسقط اعتبارها على ظنهم في التاريخ وهذا الزعم بالنسبة اليها مردود من وجهين:

الوجه الاول: ما عرف عن العرب من اتقان الحفظ والرواية وكونهم مطبوعين على ذلك

الوجه الثاني ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام من أوائل القرن الاول أي من عهد صاحب الرسالة وأبي بكر الصديق وثبوت عناية العرب المسلمين بالكتب أو العلوم المدونة منذ ذلك القرن

أما الوجه الاول فيبانه ان قوى الانسان ومشاعره خاضعة كلها لحكم الفطرة اذ المشاهد ان الانسان اذا فقد أداة من قواه العاقلة أو مشاعره قويت فيه أداة أخرى . فضعف الذكاء يكون قوي التفكير بحكم الحاجة الى استحضار صور المعلومات التي تعيب عن حفظه . وفاقد البصر يكون قوي السمع والحفظ كذلك والعرب لما كانوا أمة أمية قليلي العناية بالكتابة التي هي أداة من أدوات الحضارة استعاضوا عنها لاستبقاء أخبارهم وتداولها بقوة الحفظ فمروا على هذه القوة حتى صارت لكثير منهم ملكة لا يحتاج صاحبها الى تكلف عناية في حفظ ما يرد على سمعه من الاخبار والاشعار فقامت عندهم مقام الكتابة وقيد الاخبار بالصحف لذلك كانت أخبار العرب وأشعارهم التي وصلت اليها الى هذا اليوم انما اتصلت بالمسلمين بالرواية ثم قيدها هؤلاء بالكتب في العصر الاول وما بعده وكلهم تعلمون أيها السادة مبلغ قوة الحفظ عند العرب بما تقرأونه من أخبار

حماد الراوية الذي كان ينشد عدة قصائد على قافية واحدة لمدة شعراء وكذا  
تقرأون أخبار غيره التي من هذا القبيل وقد كان عبد الله بن عباس يحفظ القصيدة  
الطويلة بجمعها مرة واحدة وها أنا ذا أورد لكم خبراً من أخباره في الحفظ يستدعي  
اعجابكم بذلك الرجل الجليل الذي كان يستوعب ذهنه من شرائع الاسلام وأخبار  
العرب وغيرهم ما لا تستوعبه مكتبة من المكتبات الضخام

روى هذا الخبر صاحب الاغانى بسنده قال يينا ابن عباس في المسجد الحرام  
وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذا قبل صبر بن أبي ربيعة في نو بين  
مصبوغين موردين أو محمرين حتى دخل وجلس فامشده ابن عباس فأنشده قصيدة

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غدام رائج فمهر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع ابن الأزرق فقال الله يا ابن عباس ! فإنا  
نضرب إليك أكباد الابل من أقصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتناقل  
ويأتيك متوف من متري قر يش فينشدك

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزي وأما بالمشي فيخسر

فقال له ابن عباس ما هكذا قال وإنما قال

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالمشي فيخسر

فقال ما أراك إلا قد كنت قد حفظت البيت . قال أجل وإن شئت أنشدك

القصيدة كلها : قال فاني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها

فانظروا الى هذا الذكاء العظيم الذي اختص به أولئك القوم حتى لقد بلغ من

ثقتهم بقوة الحفظ والرواية ان كانوا لا يثقون بخبر مكتوب الا اذا كان مصرفا

بالسند والرواية . ولما أخذ العلماء بتدوين الاخبار النبوية وأخبار الصحابة ثم نار يخ

الخلفاء دونوا هذه الاخبار مدعومة بالرواية ولم يكتفوا ببقيد ما في الصحف مجردة

عن الاسانيد خوف دخول التعريف عليها واطمئنانا للرواية المعروفة السند المستوفية

لشروط الصحة على الترتيب المعروف عند المحدثين الى الآن

وفي اعتقادي أن الذي ذهب بالباحثين الى الظن بعدم تدوين الاخبار الا



بعد القرن الثاني هو تقييد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الاخبار بالرواية مع فقد مادون قبل ذلك لتفقدته لحسن التنسيق والجمع وشروط الصحة عند المؤلفين لاسيا من جهة الترتيب والتخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني ويناسب حالة الرقي في الحضارة كما سنتكلم عليه بعد

هذا بيان الوجه الأول وأما الوجه الثاني وهو ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام في أوائل القرن الأول فالادلة عليه كثيرة وتشتها في ثنايا الكتب وتاريخ السطور لا يمنعنا أن نجتري منها بالقليل المقنع الذي وسعنا حمة ولا أقدم بين يدي ذلك مقدمة قصيرة فأقول

إذا قيل ان العرب أمة أمية فليس هذا القول على اطلاقه بل ربما أطلق هذا الوصف على عرب البادية اطلاقاً أعم من اطلاقه على غيرهم من سكان المدن وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة وأطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد كالتيبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والحوارث في أطراف الشام الذين منهم ملوك تدمر في شرقي سوريا الذين تنسب اليهم الزباء « زنوبيا » وزوجها أذينة ( أودينوس ) ومنهم ملوك غسان في جنوب سوريا وتاريخهم مشهور معروف

فهؤلاء الشعوب لا يجوز أن يطلق عليهم وصف الأمية بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه وإنما غموض تاريخهم وطموح آثارهم أضاف تاريخهم الى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلاً مما وقف عليه الباحثون من آثار الكتابية للحميريين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دهرهم على البحث وتبع الآثار أكثر من ذلك

وحسبكم شاهداً على أن الأمية لا يجوز اطلاقها على كل العرب ما كان موجوداً من كتب أهل الحيرة الى أوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد ابن السائب الكلبي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أهار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

أما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البشة أنها كانت موجودة ولو مع الندرة يدلك عليه كثابة المخطات السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تعاقبت فيها قرش على رد الحقوق وانصاف المظلوم وعلقوها على الكعبة والمعروف أنهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط النبطي وتارة بالخط الحبري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي وتارة بالخط العبري ومن عرف منهم بكتابة هذا الخط ورقة بن نوفل بن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما جاء الاسلام كان النبي عليه السلام يحض على تعلم الكتابة وتعلم الفئات الأخرى فشاعت الكتابة بين الصحابة وأبناء الصحابة وبها ضبط الوحي وحفظ القرآن فكانت كلما نزلت آية كتبها الكاتبون في الحال ومن هؤلاء الكتاب عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء الحضرمي وحفظة ابن الربيع وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن الأرقم الزهري وهؤلاء كتاب الوحي والرسائل كتبوا للنبي عليه السلام وأما من عداهم من كتاب الصحابة فكثيرون منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم . ومن أبناء الصحابة عبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص (هو صحابي) وعبد الله بن الحارث بن هشام وغيرهم

إذا علمت مما تقدم أن الكتابة كانت شائعة على عهد النبي عليه السلام بين المهاجرين والانصار وإن أول ما كتب بها هو القرآن الكريم وكانوا يكتبونه على الرقاع والاضلاع وسعف النخل والحجارة الرقاق البيض ثم جمعه أبو بكر رضي الله عنه ودونه في الصحف على ما هو معروف مشهور

أما الحديث وفيه تاريخ الصدر الأول وهو الذي عليه مدار بحثنا الآن فإنه كان يكتب كذلك على عهد النبي عليه السلام على نحو ما كانوا يكتبون عليه القرآن وقد رخص لهم النبي بكتابتها كما أمرهم بكتابة العلم مطلقاً

فقد أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسنده عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدا العلم بالكتاب » وروى بسنده عن عمرو



ابن شبيب عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال نعم . قلت في الرضى والفضب ؟ قال نعم « فإني لأقول في ذلك كله لاحقاً » وروى بسنده عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله فخطب فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يا رسول الله أكتبوا لي . فقال رسول الله « اكتبوا لأبي شاة » يعني الخطبة - وروى ابن عبد البر أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر بن حزم وغيره . وأخرج عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد أكثر مني حديثاً إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب . وروى عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه فنهني قریش وقالوا ائكتب كل شيء نسمعه ورسول الله يتكلم في الرضى والفضب ؟ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه الي فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق »

وأخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر كتب أكثر من اربع مائة حديث . وفي تنوير الحوالك على موطأ مالك وغيره من كتب الحديث أن عمر حاول مراراً أن يكتب السنن ثم عدل خوفاً من انكباب الناس على كتب السنن مع وجود كتاب الله

وأخرج ابن عبد البر عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه . وأخرج عن من قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحاف أنه بخط أبيه بيده

هذه الاخبار الصحيحة وما ماثلاً تدلنا على أن الحديث كتب ان لم يكن كما فجله على عهد الرسول وأصحابه الكرام والحديث يشتمل أكثر تاريخ الخلفاء كما تعلمون . وكتب فن النحو الذي أملاه علي بن أبي طالب على أبي الاسود الدؤلي . وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص كتاباً في الاحداث وكتاباً فيما تضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعها منه شفي بن مانع الأصبحي قد قل

المقريزي من رواية أبي سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر عن حياة بن شريح قال : دخلت على الحسين بن شفي بن مانع وهو يقول فعل الله بفلان قتلته ماله فقال حمد الى كتابين كان شفي ( يعني أباه ) سمعها من عبد الله بن عمرو بن العاص ثم ذكر الكتابين قال فأخذهما فرمى بهما بين الحوتة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر مما يلي القسطة

وأما في عصر التأسيس وتأسيسهم فقد كانت العناية بكتابه الاخبار أكثر وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عمرو عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول : وددت لو أن عندي كتيبي بأهلي ومالي : وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري من علماء المائة الأولى ومولده في سنة إحدى وخمسين ووفاته بعد المائة إذا جلس في بيته وضع الكتب حوله فشكلته عن كل شيء كما ذكر ذلك ابن خلكان والزهري . هذا هو الذي كتب السنة في دفاتر أو كتب وزعت على الأمصار بأمر عمر بن عبد العزيز

ولم يأت القرن الثاني من الهجرة حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصاً فنون العربية والأدب فكان منها مكتبات لبعض الأفراد ما أظنها توجد عند أحد منا الآن فقد ذكر ابن خلكان وغيره في ترجمة أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المولود بين سنة خمس وستين وسبعين للهجرة والمتوفى في منتصف القرن الثاني أنه كان أعلم الناس بالقرآن والأدب والعربية والشعر وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ثم إنه تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الى علمه لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه

هؤلاء الأشخاص أيها السادة هم الذين ظفرت باسمائهم وكانوا ممن اقتنوا الكتب من منتصف القرن الأول الى منتصف القرن الثاني فما بالكم بما لم أظفر بهم وعن لم يأت ذكرهم في التاريخ ولا جرم أنهم كثيرون جداً وربما لم يخل منهم مصر من الأمصار الإسلامية في ذلك العصر

ما هي هذه الكتب وما هي كتب عمرو التي احترقت سنة ثلاث وستين ؟



أليست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب واشتغلوا بها؟ وهل احترقت كتب عمروة في اليوم الذي دونت فيه؟ كلا بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الاول أو على مدى هذا القرن. فاذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال للريب في ان العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الاول؟ وهل يستراب في صحة هذه العلوم مع ما ثبت معان من أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو الكائنين وتحريف الناسخين

لا جرم أن القوم الذين يوجد فيهم من ينصرف عن الملك الى علوم الطب والكيمياء التي ندر من (كان) يشتغل بها من الامم الراقية في ذلك العصر ويؤلف في هذين العلمين حربون بتدوين اخبارهم والعناية بأدبهم. فقد ذكر المؤرخون في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي في سنة خمس وثمانين للهجرة أنه كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله مسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار اليها وله فيها أشتار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه. وكانوا يعميونه على اشتغاله بهذه العلوم وتركه حبل الملك والخلافة على القارب حتى تمكن من سلبه منهم بنومروان ومن المؤلفين في ذلك العصر أي العصر الاول غير خالد بن يزيد زيادة بن سمية الذي ألحقه معاوية في اولاد أبي سفيان فجعل الناس يطعنون عليه فألف كتابا في علم الانساب في ثالب العرب وطعن فيه في انسابهم فكفوا عنه كما ذكر ذلك ابن النديم

ومنهم زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي قال ابن النديم مات سنة احدى وستين أو ستين وله من الكتب كتاب السنن وكتاب القراءات وكتاب الزهد وكتاب المناقب

ومنهم عبيد بن شربة الجرهمي وكان في زمن معاوية وأدرك النبي ووفد على معاوية من اليمن فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والمعجم وغير ذلك من

المسائل فأجاب عما سأل وله من الكتب كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين ومنهم سليم بن قيس الهلالي أحد أصحاب علي بن أبي طالب وله كتاب في الحديث ويوجد هذا الكتاب إلى الآن في مكتبة السيد ناصر حسين الموسوي امام الشيعة في مدينة لكناو في الهند كما ذكر ذلك صاحب مجلة البيان الهندية في المذد السادس من سنة الرابعة وذكر غير ذلك عدة كتب لأصحاب علي موجودة عن الشيعة الإمامية يضيئ المقام عن ذكرها

وأظن أن في هذا كله بياناً كافياً يقنع القاهين إلى أن المسلمين لم يدونوا الحديث والعلوم إلا في القرن الثاني للهجرة أو بعده وإن رواية الأخبار والآثار التي ألزمها المسلمون في كتبهم المكتوبة بعد القرن الثاني إنما كانت شرطاً في صحة الأخبار التي نقلوها عن كتب قبلهم لو وثقهم برواية الرواة الكثيرين أكثر من وثوقهم بخبر لكتاب الواحد

أذا الخبر الذي يكتب في صحيفة ثم يترك لأيدي الفساح والمهرفين والداسين ليس في الصحة بمنزلة الخبر الذي يكتب ثم يناقشه الرواة قراءة ورواية بحيث يأخذ الواحد من الآخر كما كتب بحرفه أو معناه إلى ما شاء الله

وأظنكم أيها السادة تسمعون معي أن هذه الطريقة في النقل لا تعد ثلثة في تاريخ الإسلام يتطرق منها إليه الوهن والتجريح بل تعد تحقيقاً للأخبار بالفاحد الامانة والتحصيص لم تسبق إليه أمة من الأمم غير المسلمين

بقي هنا اعتراض ربما يرد على ما تقدم من الكلام وهو قولهم : أين هي تلك الكتب التي دونت في القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني مع أنه لم يصل إلينا منها إلا ما ذكرت من الكتب الموجودة عند الإمامية وهي في الحديث وفيها روي عن علي من بعض الخطب والأخبار وإن أقدم ما وصل إلينا في التاريخ كتاب فتوح الشام لأبي اسماعيل الأزدي البصري من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وأين هي كتب الزهري التي جمع فيها الحديث ورواها عمر بن عبد العزيز على الأمصار

فالجواب على هذا سهل وهو أن المسلمين كانوا يثقلون كتب الأخبار قراءة



ورواية كما تقدم يأنه فلما استبحر العمران وترقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقاً وترتيباً وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لأصول كل فن أو فروع أدب مجت تلك الروايات أو الصحف المشتتة على مسائل متفرقة في تلك الكتب الجامعة مع محافظة المؤلفين على أصانيدهم وبقاء بحق الأمانة وتصحيحاً للأخبار كما ترون ذلك في كل كتب الفنون التي اشتغل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني مدعومة بالرواية على طريقتهم السابقة البيان كالتاريخ والحديث وآداب اللغة العربية ولما انتفت الحاجة إلى تلك الكتب القديمة قضت على أعيانها سنة بقاء الأنسب بالدور بضرورة الحال وأما ما كتب فيها فهو هو بينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر فإذا دثرت تلك الصحف التي خطتها أذهال العرب في العصر الأول فإن ما كان فيها لم يزل باقياً يشهد بصحة تاريخ الإسلام والسلام اهـ

(المنار) نشرنا هذه الخطبة النفيسة بنصها لفائدتها وإجابة لاقتراح من اقترح علينا نشرها مع كتابة شيء في الموضوع استدرا كما أو انتقاداً . وقد اقترح علينا من قبل غير واحد بأن نكتب شيئاً في مسألة كتابة الحديث منهم الدكتور صدي ومنهم الشيخ صالح اليافعي في حيدرآباد فإنه أرسل إلينا رسالة مطولة في الرد على ما كتبه الدكتور صدي في السنة الماضية بعنوان ( الإسلام هو القرآن وحده ) ولكن سقط منها ورقات طلبناها منه فأجابنا بأنه لا يوجد عنده أصل لما فقد واقترح علينا أن نكتب في الموضوع

أما الانتقاد على خطبة رفيق بك فلا أرى فيها شيئاً يهم انتقاده إلا قوله بصحة الأخبار التي نقلها في تدوين الصحابة للحديث وسنم ما فيه وأما الاستدراك فبإبه الواسع حتى يمكن وضع مؤلف خاص في هذا الموضوع من فصوله كون تعلم الكتابة لاخراج العرب من حجر الأمية الغالبة عليهم إلى بمجوحة العلم من مقاصد الإسلام ، وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى ( ٢:٦٢ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحسنة ) الآية فالكتابة مصدر كتب ( كالكتابة ) ولكن في المصدر الأول أكثر مصادر

«كتب» استعمالا كاترى في المأثور وهذا التفسير هو المختار الذي جرينا عليه وينا  
ترجيحه في التفسير عن الاسناد لا امام . ويدخل في ذلك ما ورد في تعليم الكتابة  
في الاخبار النبوية وآثار الصحابة وذلك كثير

ومن نصوله مسألة كون أهل البدو أحسن حفظاً من أهل الحضرة لاسيما  
العرب منهم وقد انتقد اليونانيون وأنكروا تلم الكتابة لاول عهدا بحجة ان الناس  
يتكلمون على ما يكتب فيضمف حفظهم وذاكرتهم . ومنها بحث الاحتجاج بالكتب  
وشرط الوثوق بها عند المحدثين ولا بن الصلاح في ذلك كلام حسن

وقد كتب السيد عبد الحميد 'فندي الزهراوي' مقالة موضوعها الكتابة والتدوين  
والحفظ عند العرب نشرها في الجريدة (عدد ١٢٥ الصادر في ٢٤ جادى ٢) بن  
فيها ان من يختبر عرب البادية اليوم ومالهم من قوة الحفظ وكثرة المحفوظ لتصادمهم  
ووقائهم وخطبهم وأنسابهم لا يسحب مما نقل في حفظ سلفهم . وذكروا من كتابتهم  
في الجاهلية المملكات وتقص أبطال الفرس كرسم واستشهد على كتابتهم المعاهدات  
والمحالفات بقول الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته :

واذكروا حلف ذي المجاز واقسام فيه اليهود والكفلاء

حذر الجور واتمدي وهل ينقض ما في المارق الاهواء

فالمارق جمع مهرق وهي الصحائف وقيل المهرق ثوب حرير أبيض يستقي الصمغ  
ويصقل ثم يكتب فيه . وذكر أيضاً منها قول هشام بن الكلبي كنت استخرج  
أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن زبيدة ومبالغ أعمار من ولي منهم  
لا ل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

وذكر من شواهد تدوينهم بعد الاسلام مسألة أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة السنن  
نقلا عن ابن عبد البر وما جاء في اعلام الموقعين عن سفيان بن عيينة عن ادريس بن  
ادريس قال أتيت سعيد بن أبي بردة فسأله عن رسل عمر بن الخطاب التي كان  
يكتب بها الى أبي موسى الاشعري وكان أبو موسى قد أوصى الى ابن أبي بردة  
فأخرج اليه كتباً منها : قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري «أما بعد فإن

«المجلد المباشر»

(٩٥)

(المنار ج ١٠)



القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة» الخ

أقول لعل أول من كتب الحديث وغيره من الثابطين في القرن الأول وجعل ما كتبه مصنفًا مجموعًا خالد بن معدان الحمصي روي عنه أنه لقي ٧٠ صحابيًا قال في تذكرة الحفاظ وقال بحبر: ما رأيت أحداً ألزم للعلم منه وكان علمه في مصنف له أزرار وعري: والمراد بالمصنف المصنف المكتوبة المجموعة ولا يوجد في العربية لفظ كهذا يدل على هذا المعنى بالنص فإن لفظ «الكتاب» المستعمل للدلالة على المصنف المجموعة في نحو جلد يطلق على الورقة أو الصحيفة الواحدة ولذلك اتفقوا على تسمية القرآن المكتوب عند جمعه بالمصنف وكان قبل ذلك يسمى كتاباً ولا يسمى مصنفًا خالد بن معدان جمع علمه في مصنف واحد جعل له وقاية لها أزرار وعري تمسكها لئلا يقع شيء من تلك المصنف وكان ذلك في القرن الأول طبعاً فإنه مات سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة

ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي ولعل سبب ذلك أخذ امرأه بني أمية عنه:

قال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والمصنف يكتب كل مسمع: يعني من الحديث وغيره فقد روى أبو صالح عن الليث قال ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري يحدث في الترخيب فنقول لا يحسن إلا هذا وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك: وقال عبد الرزاق سمعت معمرًا يقول كنا نرى أبا قدأ ذكرنا عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فإذا الفقار قد حملت على الدواب من خزائنه يقول من علم الزهري . اهـ من تذكرة الحفاظ

وجاء في ترجمته فيها أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يعلي على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربع مئة حديث . . . ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال الزهري إن ذلك الكتاب ضاع فدعا بكتاب فأملأها عليه ثم قابل بالكتاب الأول فما غادر حرفاً واحداً . ( قال ) ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة . وفي هذا دليل على أن كتابة الحديث كانت شائعة في عصره أي

أواخر القرن الأول وأوائل الثاني فقد ولد الزهري سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة أربع وعشرين ومئة ولا تنس ما كتبناه آنفاً عن خالد بن معدان وقال الحافظ في ترجمة عمرو بن دينار انه كان يحدث علي المعنى ويقول لا أخرج علي من يكتب عني . وهو قد ولد سنة ست وأربعين ومن أراد تتبع تراجمهم في كتب المحدثين يجد من هذه المسائل شيئاً كثيراً وما رأينا أحداً وفي البحث في تدوين الصحابة والتابعين للحديث حقه مثل الحافظ أبي هريرة بن عبد البر وائنا نقل ما كتبه في ذلك برمه ثم نستدرك عليه مارواه غيره أو شايعه على مارواه ثم نبين رأينا فيه . قال في جامع بيان العلم (نقلاً عن مختصره)

### ﴿ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده في الصحف ﴾

عن أبي سعيد الخدري (١) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليحرقه ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر انساناً أن يكتبه فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمجاهد . وعن عبد الله بن يسار قال: سمعت علياً يخطب يقول: أعزمت علي كل من عنده كتاب إلا رجم فمجاهد فأنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علماءهم وتركوا كتاب ربهم . وعن أبي نصر (٢) قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن تجعلوها مصاحف إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فتحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ . وعن ابن وهب قال سمعت مالكاً يحدث أن عمر بن الخطاب (٣) أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع

«١» هو سعيد بن مالك الصحابي الجليل ولأبيه صحبة وروى الكثيرات بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤ هـ من التقريب «٢» هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوفي «٣» أمير المؤمنين والخليفة الثاني ملأ طباق الأرض به ورواه عنه استشهد سنة ٢٣ من الهجرة ٥٠ هـ من التقريب مع زيادة



كتاب الله . قال مالك لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه قال ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء فأنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه . وعن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطلق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له . فقال : انني كنت أريد أن أكتب السنن وانني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وزكروا كتاب الله وانني والله لأشوب ( وفي نسخة لا أنسي ) كتاب الله بشيء أبداً : وعن ابن عباس أنه قال : إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه : وعن الشعبي (١) أن مروان دعاً زيد بن ثابت وقوماً يكتبون وهو لا يدري فأعلموه فقال أندرون لعل كل شيء حدثكم به ليس كما حدثكم وعن ابن سيرين (٢) قال إنما ضلت بنو إسرائيل بكتب ورثوها عن آباؤهم

وعن الأسود بن هلال (٣) قال أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقته ثم قال أذكركم الله رجلاً يعلمها عند أحد إلا أعلمني به والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها بهذا ملك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . وعن الضحاك قال يأتي على الناس زمان يكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغيره لا ينظر فيه . وعن ابن عباس أنه كان ينهي عن كتاب العلم وقال إنما ضل من قبلكم بالكتب

« ١ » هو أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم روي أن ابن عمر مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وإني لأعلم بها مني . وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك خمسمائة صحابي ومات سنة « ١٠٤ » فجأة هـ من ابن خلكان « ٢ » هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل مات سنة « ١١٠ » بالبصرة هـ من ابن خلكان « ٣ » الحاربي الكوفي مخضرم ثقة جليل مات سنة « ٨٤ » هـ من التزيين

وعن أيوب قال سمعت سعيد بن جبيرة (١) قال كنا نختلف في أشياء فنكتبها في كتاب ثم أتيت بها ابن عمر أسأله عنها خفياً فلو علم بها لكانت الفيصل بيني وبينه وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال أصبت أنا وعائفة صحيفة فانطلقوا بها إلى ابن مسعود فيها وقد زالت الشمس أو كادت تزول فجلسنا بالباب ثم قل للجارية انظري من بالباب فقالت عائفة والاسود فقال إنني لما قد خلنا فقال كأنك قد أطلتما الجلوس قلنا أجل قال فما منكما أن نساؤنا قالا خشينا أن نكون نائماً قال ما أحب أن نطأني هذا إن هذه ساعة كنا تقيسها بصلاة الليل قلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن قل هاتها، يا جارية هاتي الطست واسكبي فيه ماءً فجعل يمحوها بيده ويقول (نحن نقص عليك أحسن القصص) قلنا انظر فيها فإن فيها حديثاً عجيباً فجعل يمحوها ويقول إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره قال أبو عبيد (أحد رواة هذه القصة) يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلذا كره عبد الله رحمه الله النظر فيها

وقال مسروق لمقمة الكتب لي النظائر قال أما علمت أن الكتاب يكره قال بلى أريد أن أحفظها ثم أحرقها وعن أناسم أنه كان لا يكتب الحديث وعن ابن شبرمة (٢) قال سمعت الشعبي يقول ما كتبت سواداً في بياض قط ولا استعدت حديثاً من إنسان مرتين. وعن إسحاق بن إسماعيل الطالقاني (٣) قال قلت لجريري يعني ابن عبد الحميد أكان منصور يعني ابن المعتز يكره كتاب الحديث قال نعم منصور ومنيرة والاعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الأوزاعي يقول كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه

- «١» الأسيدي بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ للهجرة بواسطه من ابن خلكان
- «٢» هو عبد الله ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة ١٤٤ هـ من التقريب «٣» نزيل بغداد يعرف باليتممة تسكاهم في معاصمه من جريرو وحده مات سنة ٢٢ هـ من التقريب



٧٥٨ انتهى عن كتابة العلم والحث على الحفظ (الطائر ١٠-١٠)

قلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله وعن الفضيل بن عمرو (١) قال قلت لأبراهيم إني آتيتك وقد جمعت المسائل فإذا رأيته كأنما تختلس مني وأنت تكره الكتاب قال لا عليك فإنه قلما طلب إنسان علماً إلا آتاه الله منه ما يكفيه وقلما كتب رجل كتاباً إلا انكسر عليه

(قال أبو عمر) من كره كتاب العلم إنما كرهه لوجهين أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به وثلاً يتشكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ كما قال الخليل (٢)

﴿ ليس يعلم ما حوى القمطر • ما العلم إلا ما حواه الصدر ﴾  
وأشدني بعض شيوخني للحمد بن بشير بإسناد لا أحفظه

﴿ أما لو أعي كل ما أسمع • وأحفظ من ذاك ما أجمع ﴾  
﴿ ولم أستاذ غير ما قد جمعت لقل هو العالم المقنع ﴾  
﴿ ولكن نفسي إلى كل فن من العلم تسمعه تزع ﴾  
﴿ فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع ﴾  
﴿ ومن بك في علمه هكذا • يكن دهره القهقري يرجع ﴾  
﴿ إذا لم تكن حافظاً واعياً • فجمعك للكتب لا ينفع ﴾  
﴿ أحضر بالجهل في مجلسي • وعلمي في الكتب مستودع ﴾

وقال أبو الصاهية (٣)

«١» الفقيه أبو النضر الكوفي ثقة مات سنة عشرة ومائة ١١٥ هـ من التبريد «٢» ابن أحمد الأزدي البجلي كان إماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض قال حمزة الأصماني في حقه في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث البصيف . وبمد فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع العلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل مات سنة ١٧٠ وقيل ١٧٥ هـ من ابن خلكان

(٣) هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم الهنزي بالولاء الشاعر المشهور المتوفى ببغداد سنة ٢١١ وله ديوان جمعه ابن عبد البر صاحب أصل هذا المختصر هـ من ابن خلكان كذا في هامش الكتاب

## (المنار ١٠-١٠) الرخصة في كتابة الحديث والعلم ٧٥٩

﴿ من منيع الحفظ وعي \* من ضيع العلم وهم ﴾  
وقال أعرابي حرف في تامورك خير من عشر في كتبك ( وقال أبو عمر ) التامور  
عانة القلب وسم: يونس بن حبيب رجلا ينشد

﴿ استودع العلم قرطاساً فضيحه \* وبش مستودع العلم القراطيس ﴾  
قال يونس قاتله الله ما أشد صيانه للعلم وصيانه للحفظ ان علمك من روحك وان  
مالك من بدنك فصن علمك صيانتك وروحك رصن مالك صيانتك بدنك  
( قال أبو عمر ) من ذكرنا قوله في هذا الباب فانه اذهب في ذلك مذهب العرب  
لانهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كابن  
عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقادة ومن ذهب مذهبهم وجبل جبلتهم كانوا  
قد طبخوا على الحفظ فكان أحدهم يجترى بالسمعة ألا يرى ما جاء عن ابن شهاب  
أنه كان يقول اني لأمر بالقيم فأفسد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا  
فوالله ما دخل آذني شيء قط فنسيت وجاء عن الشعبي نحوه وهو لاء كاهم عرب  
وقال صلى الله عليه وسلم « نحن أمة أمية لانكسب ولا نحسب » وهذا مشهور ان العرب  
قد خصت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة وقد جاء عن  
ابن عباس انه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة ( أمن آل نعم أنت غاد فبكر ) في سمعة  
واحدة فيما ذكروا وليس أحد اليوم على هذا لولا الكتاب لضاع كثير من العلم  
وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب العلم ورخص فيه جماعة من  
العلماء وحدوا ذلك ونحن ذا كروه بعد هذا بعون الله إن شاء الله وقد دخل على  
ابراهيم النخعي ( ١ ) شيء في حفظه تركه الكتاب وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف  
الحديث فقلت له إن سالم بن الجعد يتم الحديث قال ان سالما كتب وأنا لم أكتب  
( قال أبو عمر ) فهذا النخعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب

﴿ باب الرخصة في كتاب العلم ﴾

عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كر

( ١ ) أحد الأئمة المشهورين تابعي جليل ونسبته الى النخعي قبيلة من مذحج

باليمن \* من تاريخ ابن خلكان



الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له أبوشاة فقال  
يا رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكتبوا لأبي شاة» يعني  
الخطبة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله اكتب كل  
ما أسمع منك قال «نعم» قلت في الرضى والنضب قل «نعم» فإني لا أقول في ذلك كله  
الا حقا» وعن همام بن منبه (١) «أسمه أباهريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد  
أكثر حديثا مني الا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب وعن عبد الله بن عمرو  
قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه  
فنهتني قريش وقالوا أنكئب كل شيء أسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم  
يتكلم في الرضا والنضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأومى بأصبعه إلى فيه وقال «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه  
الا حق» وعن مطرف بن طريف (٢) قال سمعت الشعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال  
قلت لملي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى  
القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فها في كتابه  
وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكالك الاسير وأن لا يقتل  
مسلم بكافر: وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة وجهان أحدهما تحريم  
المدينة ولعن من انتسب إلى غير مواليه في حديث فيه طول وفيه «المسلمون تنكفأ  
دماؤهم» الحديث رواه عن علي يزيد التميمي وحلاص وكتب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره وعن  
أبي جعفر بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة  
مكتوب فيها «ملعون من أضل أمي عن سبيل ملعون من سرق نخوم الأرض  
ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه» وعن عبد الله  
ابن عمرو قال ما يرغبني في الحياة الا خصلتان الصادقة والوهط (٣) فأما الصادقة

(١) بن كامل الصنعائي أخو وهب ثقة مات سنة ١٣٢ هـ تقريب (٢) ثقة

فاضل مات سنة ١٤١ وقيل به - دها هـ تقريب التهذيب لابن حجر (٣) لوهط  
المكان المطهر من الأرض وقيل موضع وقيل قرية بالطائف هـ لسان العرب

فصحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو ابن العاص كان يقوم عليها . وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدا العلم بالكتاب » وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول « قيدا العلم بالكتاب » وعن معن قال أخرجني عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده . وعن أبي كبران قال سمعت الضحاك يقول إذا سمعت شيئا فاكته ولو في حائط : وعن سعيد بن جبيرة أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه وعن أبي قلابة قال الكتاب أحب إلينا من النسيان . وعن أبي المبيع قال يميون علينا الكتاب وقد قال الله تعالى ( ٥٢: ٢٠ ) عليها عند ربّي في كتاب ) وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قالت يا رسول الله أأقيد العلم قال « قيدا العلم » قال عطاء قلت وما تقيد العلم ؟ قال الكتاب . وعن عبد العزيز بن محمد الداوردي ( ١ ) قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتجج إليه علمت أنه أعلم الناس . وعن سوار بن حيان قال سمعت معاوية بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما . وعن محمد بن علي قال سمعت خالد بن خديش البغدادي ( ٢ ) قال ودعت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله أوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله وعن الحسن أنه كان لا يري بكتاب العلم بأسا وقد كان أملي التفسير فكتب وعن الأعمش قال قال الحسن ان ااكتبا تعاهدها . وقال الخليل بن أحمد اجل ما تكتب بيت مال وما في صدرك لشفقة . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة ( ٣ ) وكان يقول وددت لو أن عندي كتي بأهلي ومالي . وعن سليمان ابن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حاطب ليل

١ « صدوق كان يحدث من كتب غيره مات سنة ١٨٦ هـ تقريب

٢ « أبو الهيثم الملقب بـ مولا الم بصري صدوق بخطه مات سنة ٢٢٤ هـ تقريب

٣ « الحرة موضع بظاهر المدينة به كانت واقعة الحرة أيام يزيد هـ قاموس



ورجل لا يكتب (١) ويسمى بذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتقي وهو خيرهم وهذا هو العالم . وعن اسحاق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا . قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال أحمد سواء . وعن حاتم الفاخر وكان ثقة قال سمعت سفیان الثوري يقول اني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث رجل أكتبه أريد أن أتخذه ديناً وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعاب به . وقال الأوزاعي تعلم مالا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به . وعن سعد بن ابراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفقرا دفقرا فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفقرا . وعن أبي زرعة قال سمعت أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه القطع . وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هو ولا الامراء فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين . وذكر المبرد قال قال الخليل بن أحمد ما سمعت شيئا الا كتبه ولا كتبه الا حفظه ولا حفظه الا نقفي « اه كلام ابن عبد البر

## استدراك علي ابن عبد البر

هو في الاذن بكتابة العلم والمنع منها ومن خرج أحاديثه

روى ابن النجار في تاريخه من حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء وإنما ذهاب العلم بموت العلماء » والحديث لا يصح وهو عام في كل علم وروى الديلمي من حديث علي « اكتبوا هذا العلم فانكم تنفعون به إمامي

« ١ » المنار: كذا في الأصل والظاهر أن (لا) زائدة ليكون من الشواهد على الكتابة . وحاطب ليل مثل يضرب لمن لا يميز فيما يسمه أو يأخذه بن غث وسمين ونافع وضار كمن يختطب لئلا يأخذ الأفي والحجر فيما يحجمه يظنها حطبا . والذي ينتقي هو الذي يحص ما يسمع فيميز بين الصدق والكذب والمقول وغير المقول

٧٦٣

(المنار ١٠-١٠) استدراك على ابن عبد البر

دنياكم وأما في آخرتكم وإن العلم لا يضع صاحبه « وفي سنده محمد بن علي بن الأشعث كذبوه فالحديث موضوع

وروى الحاكم وأبو نعيم وابن عساکر من حديث علي « إذا كتبتُم الحديث عني فاكثبوه بأسناده فإن يك حقاً كنتم شركاء في الأجر وإن يك باطلاً كان وزره عليه « وهو ينادي على نفسه بالوضع وإن واضعه جاهل بالمرية الصحيحة به الفصيحة فإن الأسناد من اصطلاح المحدثين والكتابة عنه صلى الله عليه وسلم تنافي الأسناد

وروي ابن عساکر في تاريخه من حديث أبي بكر « من كتب عني ما أوحدياً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم والحديث « وهو ضعيف وفيه عطف الحديث على العلم وذلك يقتضي المناورة بينهما ولو بالعموم والخصوص وروي الحكيم الترمذي والطبراني وسمويه والخطيب في تقييد العلم عن رافع ابن خديج قال قلت يا رسول الله أنا نسمع منك أشياء فنكتبها قال « اكتبوا ولا حرج « وهو حديث ضعيف كما علم من إيراد السيوطي له في الجامع الكبير وروي الحكيم الترمذي وسمويه من حديث أنس « قيدوا العلم بالكتاب « وهو ضعيف أيضاً . أما سنده عند ابن عبد البر ففيه عبد الحميد بن سليمان عن عبد الله بن الحنفية وقد أورده الذهبي في الميزان وقال عبد الحميد وأخوه فليح ضعيفان . وذكروا قبل ذلك تضعيف غير واحد لعبد الحميد . والحديث مروى عن عبد الله ابن عمرو كما تقدم عن ابن عبد البر

ومن الآثار ما رواه ابن عساکر عن الحسن بن جابر قال سألت أبا أمامة عن كتاب العلم فلم يره به بأساً . وهو عام في كل علم وسنده ضعيف . وروي الحاكم والدارمي عن عمر أنه قال « قيدوا العلم بالكتاب « وهو عام وأما رأيي في الحديث خاصة أو السنن وهي أهم من الأحاديث فقد تقدم فيما رواه عنه ابن عبد البر أنه ما كان يرى ذلك وروي عنه ابن سعد مثل هذا أيضاً



## ٧٦٤ الاستدراك والزبادة عليه في النهي (المنار ١٠ - ١٠)

ومن الاستدراك عليه في النهي عن كتابة الحديث خاصة ما جاء في كنز العمال نقلا عن الجامع الكبير للسيوطي وهو :

« قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في مسند الصحيح قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو حدثنا موسى بن حماد ثنا الفضل بن غسان ثنا علي بن صالح حدثنا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن عن إبراهيم ابن عمرو بن عبيد الله التيمي حدثنا القاسم بن محمد قال قالت عائشة جهم أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا قالت فسميت فقلت تتقلب لشكوى أو لشيء بأمك فلما أصبح قال «أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئت بها فدعا بنار فأحرقها وقال خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت ذلك » وقد رواه القاضي أبو أمية الاحوص بن الفضل بن غسان الفلابي عن أبيه عن علي بن صالح عن أبي موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعن إبراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد وأبوه عبد الرحمن بن القاسم - شك - موسى فيهما قال قالت عائشة قد كره وزاد بعد قوله: فأكون قد تقلدت ذلك: « ويكون قد بقي حديث لم أجده فيقال لو كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غيبي على أبي بكر إني حدثكم الحديث ولا أدري لمي لم أسمعته حرفا حرفا » قال ابن كثير هذا غريب من هذا الوجه جدا وعلي بن صالح لا يعرف والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا المقدار بألوف ولعله إنما انتق له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى لما ذكر

( قال السيوطي ) « قلت ولعله جمع ما فاتته من النسخ من النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه به عند بعض الصحابة كحديث الجدة ونحوه والظاهر أن ذلك لا يزيد على هذا المقدار لأنه كان يحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم كحديث ما دفن نبي الأحيث يقبض ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم فكره نقله ذلك وذلك صريح في كلامه

مخرج التعادل والترجيح بين روايات المنع وروايات الرخصة

الأحاديث في باب الرخصة بكتابة الحديث أو العلم مروية عن نفر من الصحابة (١) حديث أبي هريرة «اكتبوا لأبي شاه» وهو في الصحيحين وموضوعه خاص وروى عنه البخاري قوله إن عبد الله بن عمرو كان يكتب وإنه هو لم يكن يكتب . وله حديث عند الترمذي أن النبي (ص) أذن لرجل من بني الحنظلة أن يستعين يمينه

(٢) حديث أنس « قيداوا العلم بالكتاب » تقدم أنه ضعيف

(٣) حديث أبي بكر « من كتب غني علما أو حديثا » تقدم أنه ضعيف أيضا

(٤) حديث رافع ابن خديج « اكتبوا ولا حرج » تقدم أنه ضعيف أيضا

(٥) حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء » ضعيف أيضا كما

تقدم بل يشم منه رائحة الوضع

(٦) حديث علي في الصحيفة وهو صحيح رواه أحمد والبخاري والثلثة

وموضوعها خاص ومنسوب إلى الوحي . وحديثه « إذا كتبتُم غني الحديث » الخ تقدم ما فيه وكذلك حديثه « اكتبوا هذا العلم » الخ

(٧) كتاب الصدقات والديات والفرائض لعمر بن حزم رواه أبو داود

والنسائي وابن حبان والدارمي وموضوعه خاص . وإنما كتب له ذلك ليحكم به إذا ولي عمل فخران

(٨) حديث عبد الله بن عمرو هو أكثر ما ورد في الباب وقد جاء بألفاظ مختلفة من

طريقين فيما أعلم الآن عند أحمد وأبي داود والحاكم فالطريق الأول عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أي عبد الله بن عمرو بن العاص فهو جده . وهذا الطريق فيه مقال مشهور

للمحدثين لم ينفع بعض المتأخرين من الاحتجاج به وهو تساهل منهم . وأما المتقدمون فقد قال في الميزان قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول : أهل الحديث إذا شاؤوا

احتجوا بعمر بن شعيب عن أبيه عن جده وإذا شاؤوا تركوه : يعني أنه رددهم في شأنه . وقال عبد الملك الميموني سمعت أحمد بن حنبل يقول : عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده له أشياء منا كبر وإنما نكتب حديثه لنعتبر به فأما أن يكون حجة فلا : وقال أبو عبيد الآجري قيل لأبي داود : عن عمرو بن شعيب عن



أبيه عن جده حجة ؛ قال لا ولا نصف حجة . وقال ابن أبي شيبة سألت ابن المديني عن عمرو بن شعيب فقال ما روى عنه أيوب وابن جريج فذلك كله صحيح وما روى عمرو عن أبيه عن جده فأما هو كتاب وجده فهو ضعيف ؛ فهذا قد ضعفه لأنه اعتمد على ما رآه مكتوبا وهو لم يروه رواية

والطريق الثاني عن عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عنه بلفظ « قيدا العلم » وعبد الله بن المؤمل قال أحد أحاديثه منا كبير وقال النسائي والدارقطني ضعيف. ولا حاجة إلى مراجعة طريق ابن عساكر فقد جزم السيوطي بضعفها أما ما رواه عنه ابن عبد البر من قوله « ما برغبني في الحياة الا خصلتان » الخ ففي سنده ليث عن مجاهد . وليث هذا هو ابن أبي سليم ضعفه يحيى والنسائي وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا في أحد منه في ليث ومحمد بن اسحق وهمام لا يستطيع أحد أن يراجعهم فيه . ذكره في الميزان وذكروا أنه اختلط في آخر عمره

وأما ما ورد في المنع فأقواه حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عن كتاب العلم لابن عبد البر « لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن فمن كتب عني غير القرآن فليحجه » وهو في صحيح مسلم ومسند الامام أحمد وهو أصح ما ورد في باب النهي عن كتابة الحديث والسنة . ولا يعارضه حديث « اكتبوا لابي شاه » وما في معناه من الأمر على تقدير صحته ولا يقوم حجة على من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة حديثه لأنه لا يريد أن يكون ديننا عاما دائما كالقرآن

ولذلك وجوه ( أحدها ) أن ما أمر بكتابه لابي شاه - وهو خطبته ثاني يوم فتح مكة - يحتمل أن يكون خاصا به . ( ثانيها ) أنه كان لما قال فيه « فليبلغ الشاهد الغائب » كخطبته يوم حجة الوداع . فلما طلب أبو شاه أن يكتب له ما قاله فهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يفسر له هذا اليلبع الا اذا كتبه ولله كان سيء الحفظ فأمر أن يكتب له كما طلب ( ثالثها ) أن حديثه ليس عن الكتابة مقيد بابقاء المكتوب وفيه الرخصة التي

## (المنار ١٠ - ١٠) التعادل والتزجيج في روايات كتابة الحديث ٧٦٧

بحوه . ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن عبد البر عن زيد بن ثابت وابن مسعود وعلي في نحو المکتوب وما رواه من قول مالك « فمن كتب منهم شيء فأنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه .

وهذا الوجه يصلح جواباً عن حديث الأذن لعبد الله بن عمرو بالكتابة ويؤيده قول عبد الله : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريد حفظه » فصرح بأنه كان يكتب ليحفظ . وقد علمت ما قال أئمة الحديث في رواية حفيده عن النسخة المكتوبة . ويصلح أيضاً جواباً عن صحيفة علي وكتاب عمرو بن حزم

ولو فرضنا أن بين أحاديث النهي عن الكتابة والأذن بها تعارضاً يصح أن يكون به أحدهما ناسخاً للآخر لكان لنا أن نستدل على كون النهي هو المتأخر بأمرين أحدهما استدلال من روي عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وثانيهما عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره ولو دونوا ونشروا لتواتر ما دونوه

فهزيمة علي من عنده كتاب أن يحوه - وقول أبي سعيد الخدري « تريدون أن تملأوها مصاحف ؟ » وقول عمر بن الخطاب عند الفكر في كتابة الأحاديث أو بعد الكتابة « لا كتاب مع كتاب الله » في الرواية الأولى - وقوله في الرواية الثانية بعد الاستشارة في كتابتها « والله اني لأشوب كتاب الله شيء أبداً » - وقول ابن عباس « كنا نكتب العلم ولا نكتبه » أي لا نأذن لأحد أن يكتبه عنا - ونهيه في الرواية الأخرى عن الكتابة وقوله الذي تقدم في ذلك - ومحو زيد بن ثابت للصحيفة ثم احرقها وتذكيره بالله من يعلم أنه يوجد صحيفة أخرى في موضع آخر ولو بعيد أن يخبر بها ليعلم إليها ويحرقها وقوله الذي تقدم في ذلك - وقول سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه لو كان يعلم بأنه يكتب عنه لكان ذلك فاصلاً بينهما - ومحو عبد الله بن مسعود للصحيفة التي جاءه بها عبد الرحمن بن الأسود وعلمته وقوله عند ذلك « ان هذه القلوب أوعى فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بشيء » - كل هذا الذي أورده ابن عبد البر وأمثاله مما رواه غيره كاحراق أبي بكر لما



كتبه وعدم وصول شيء من صحف الصحابة إلى التابعين وكون التابعين لم يدوروا الحديث لنشره إلا بأمر الأمر أي ما ورد من أنهم كانوا يكتبون الشيء لاجل حفظه ثم يحوونه وإذا أضفت إلى هذا ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبته عنه بل في نهيه عن قوي عندك تزجيج كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن . ولو كانوا فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد ذلك لكتبوا ولا مروا بالكتابة ولجمع الراشدون ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه إلى عالمهم ليبلغوه ويعملوا به ولم يكتبوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور بحريان العمل بها . وبهذا يسقط قول من قال إن الصحابة كانوا يكتبون في نشر الحديث بالرواية وإذا أضفت إلى ذلك كله حكم عمر بن الخطاب على أعين الصحابة بما يخالف بعض تلك الأحاديث ثم ما جرى عليه علماء الأمصار في القرن الأول والثاني من اكتفاء الواحد منهم كابي حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وانقل وعلم تعنيه في جمع غيره إليه ليفهم دينه ويبين أحكامه قوي عندك ذلك التزجيج بل تجمد الفقهاء — بعد اتفاقهم على جعل الأحاديث أصلاً من أصول الأحكام الشرعية وبعد تدوين الحفاظ لها في الدواوين وبيان ما يحتاج به وما لا يحتاج به — لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به فهذه كتب الفقه في المذاهب المتبعة لا سيما كتب الحنفية فالملكية فالشافعية فيها مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها ولا يعد أحد منهم مخالفاً لأصول الدين وقد أورد ابن القيم في إعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء للأحاديث الصحيحة عملاً بالقياس أو غير ذلك ومن أغربها أخذهم ببعض الحديث الواحد دون باقيه . وقد أورد لهذا أكثر من ستين شاهداً ( فلتراجع في ج ١٤ و ١٥ و ١٦ من مجلد المنار السادس ) . وسنورد في الجزء الآتي شيئاً مما ورد في نهيه الصحابة عن الرواية وفي عملهم بالحديث كيف كان ، فقد أطلنا الآن ،

( تصحيح غلط مهم في ص ٧٥٢ ) ففي س ٢١ الواسع وصوابه « واسع »

وفي س ٢٤ يتلوا عليهم : وصوابه « يتلو عليهم » وفيه الكتابة وصوابه « الكتاب »

وفي أول س ٢٥ فالكتابة وصوابه « فالكتاب » وفيه : أكثر : وصوابه « كان أكثر »

## ✍ إصلاح الأزهر ✍

يرى أصحاب العقول الكبيرة من مصالح الأم ما لا يراه غيرهم من العقلاء إلا بعد زمن طويل من دعوتهم إليه فقد رأى الأستاذ الامام في أواخر مدة طلبه للعلم من حاجة الأزهر الى الإصلاح ما لم يكن يراه غيره من قومه وكانت يدعو الى ذلك في كل وقت بما تقتضيه حاله حتى كان في أول ولاية العباس ما كان من سعيه لديه في الإصلاح المعروف وكان من قواعد الإصلاح المتبعة عند الأستاذ الامام ان يكون اصلاح الأزهر بشيوخه وان لا يكون للحكومة سلطان عليه في ذلك حتى قال لي غير مرة : انني مادم في الأزهر لا أدع سبيلا للتدخل الحكومة فيه وكان للأثير رأي في الأزهر ذكره في خطابه الذي ألقاه على العلماء يوم خلع على الشيخ عبد الرحمن الشريفي خاتمة مشيخة الجامع وهو ان يبقى على حاله وان لا يكون للحكومة شأن فيه الا حفظ النظام وتستعاض عن تربيته وتعليمه لقضاء الشرع بإنشاء مدرسة خاصة بتخرجون فيها

وبعد ان أنشئت مدرسة القضاء الشرعي على أحسن وضع ممكن بدا للأثير في إصلاح الأزهر فأمر بتأليف لجنة رئيسها نظير الحقانية ومن أعضائها مدير الاوقاف ورئيس الديون الحديوي للنظر في طرق الإصلاح ووضع تقرير فيه . وقد بلغنا ان هذه اللجنة تستمد من تقرير ملخص من تقريرين للأستاذ الامام رحمه الله تعالى قدم أحدهما الى المية وموضوعه إصلاح التعليم في الأزهر والآخر الى ديوان الاوقاف وموضوعه زيادة المرتبات الشهرية للعلماء على طريقة تساعد الإصلاح وقد شاع أن أساس الإصلاح الجديد هو أن يكون للأزهر مجلس أعلى فوق مجلس ادارته من أعضائه رئيس الديوان الحديوي ومدير الأوقاف وعضو من أعضاء مجلس شورى القوانين وعضوان من المشتغلين بالتعليم في المعارف . وباقي أعضائه شيخ الأزهر وهو الرئيس والمفتي وأحد أعضاء مجلس ادارته وأحد مشايخ الأروقة فيه وهذان يختارهما الأثير . ومن الإصلاح الجديد أن يكون لشيخ الأزهر وكيل من حقوقه أن يقوم مقام شيخ الأزهر عند غيبته في كل شيء . وقد اضطرب شيوخ الأزهر لهذا النبأ وطفقوا يكتبون عرائض الشكوى وربما استقال شيخ الجامع .



## الأحزاب في مصر

كان يطرق مسامعنا في المجالس وتبصر أعيننا في الجرائد كلمة « الحزب الوطني » ولا نجد لها مدلولاً وما زالت الجرائد الانكليزية تقول ان في مصر حزباً وطنياً سياسياً حتى صار فيها عدة أحزاب وربما أخذت هذه الجرائد ذلك من الحركة الوطنية التي قامت في وجه الاحتلال في أوائل ولاية أمير البلاد لهذا العهد إذ كان كل متحمس بذلك الحركة يمدح بالوطنية والمنكر لشيء منها أو المتقاعس عن مشاركة ذويها يزن بالليل الى الاحتلال ثم صار يوصف أهلها بالحزب الوطني. ويظن بعض المفكرين ان للانكليزية غرضاً في وجود الأحزاب بمصر لا سيما النوع الذي يعرف عندهم بالمتطرف فكانت كتابة جرائدهم إغراء بذلك ودعماً اليه

ومن الناس من يقول أن تسمية أولئك الذين قاموا في وجه الاحتلال حزباً خطأ عرني أو لقوي اذ يفهم منه ان في البلاد حزباً آخر وأحزاباً أخرى يناظر ويمارض بعضها بعضاً ولم يكن في البلاد شيء من ذلك وإنما كان السواد الأعظم مشبوحاً بما ظهر به أولئك الذين يكتبون في مقاومة المحتلين ويستميلون فرنسا لمساعدتها عليهم وما كان يوجد لهم معارض وكان يوجد أفراد يعتقدون ان ما قاموا به عقيم أو ضار لما أقامهم النظر في المواقب ولكن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يعارضون ولا يقاومون وغاية ما كان يظهر من الواحد منهم أن يكشف صدقة من الآخرين برأيه. والصواب أن مثل أولئك يصح أن يطلق عليهم لفظ « حزب » لغة فإن الحزب كما في المعاجم جماعة الناس والصنف والطائفة منهم وقال الراغب: الحزب جماعة فيها غلظ: وفي لسان العرب « وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه » ثم قال « وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضاً » فأنت ترى أن تسمية أولئك القوم حزباً وجهاً في اللغة وجيباً ولكن للأحزاب في أوروبا معنى اخص وهو عبارة عن ارتباط المتشاككين في القلوب - أي الشعور بالحاجة الى مصلحة عامة - وفي الأعمال لهذه المصلحة بقانون معروف ولم يوجد

مثل هذا في مصر إلا في هذا العام فقد تشكل فيه حزب الأمة والحزب الحر وحزب الإصلاح الدستوري والحزب الوطني وسمنا أيضا نقمة حزب آخر سمي الحزب الجمهوري . وذلك سمي هذا العام بعام الأحزاب وقال الشيخ عبدالحسن في قصيدة يذكر فيها مرضه وشيئا من العبارة بحال الزمان وأهله

وطوارق الاسقام ما برحت      تنتاب كالأحزاب في مصر

أما موضوع هذه الأحزاب فهو بحسب ما صرح به زعماءها واحد المتصديقه خدمة البلاد بالوسائل الممكنة حتى قيل إن الخلاف ينهاني الألفاظ والأشخاص فقط . والصواب أن لكل حزب منها قطبا يدور عليه وهو مؤسس الحزب ورئيسه المؤثوق به عند المؤسسين المتعارفين المستعدين لمشرع الحزب الأمة فإن رئيسه ليس هو المؤسس له الذي تدور عليه سياسته وإنما هو منتخب انتخابا حقيقيا لرئاسة شركة الجريدة قبل أن يسمى جمهور المؤسسين أنفسهم حزبا سياسيا . ولهذا يطعم سائر الأحزاب في سقوط هذا الحزب لأن الشرق لم يعود الأعمال المشتركة وإنما أقوام أموره بالأفراد ولأن أفرادهم ليسوا منفقين على مقاصده ولا متعاضدين فيه بل منهم من يتربص به للدوائر ويساعد غيره عليه ولأنه ليس له سلطة يأوي إليها ويمتد على مساعدتها وإمدادها والسلطة في هذه البلاد سلطان سلطة الأمير الرسمية في الأحكام الحقيقية في نفوس الجمهور ميلا وسلطة الاحتلال الحقيقية في الأحكام والأعمال . وهذا الحزب يريد أن يكون وسطا بين هاتين السلطتين باسم الأمة فلا هو مع الانكليز كما أشيع ولا مع الأمير فيما يجب الأمير ويرى في السياسة وإن كان مخلصا كغيره للخديوية نفسها . هذا هو مبدأ العاملين فيه الآن فهو لا سند له الأمن ذاته فإذا نجح كما نحب ذلك من دلائل ارتقاء الأمة في الأمور الاجتماعية وإذا هو سقط فسقوطه برهان على أن الأمة لم تعد طور الطفولية في حياتها الاجتماعية

والحزب الحر مؤسسه محمد وحيد بك وهو رئيسه الداعي إليه والمدافع عنه بمساعدة صديقه محمد نشأت بك الذي كان من حاشية الأمير (معبته) وهو كاتب مجيد بالفرنسية وليس لهذا الحزب جريدة خاصة كغيره وإنما يكتب عنه محمد وحيد بك في المقطم ومحمد نشأت بك في بعض الجرائد الفرنسية كالأبر وغريه ولم



بدخل فيه أحد من أكابر البلاد، وافراده أقل من 'فرد سائر الأحزاب وهو يمتاز بكثرة الحث على مسألة المحتلين وإشياء على ما يستحسن من أعمالهم في البلاد فهو جبراه هذه الكلمة « سلامة المصيرين في مسألة المحتلين » فهو لا يخالف غيره من الأحزاب الا في هذا وهو خلاف قولي اذ لا يقول حزب من الأحزاب بوجود مقاومة المحتلين ومعاداتهم بالعمل وانما قصاراهم أن يبالغوا في انتقاد ما يرونه منتقدا من أعمالهم ويكبروه ويسكتون عن الثناء على ما يرونه حسنا نافعا أو يصغروه . فذاك يمدح ولا يذم ولا ينتقد وهم يذمون وينتقدون وتلما يمدحون ولا خلاف في سائر المطالب الأساسية بل في وقتها وطريق طلبها

وأما حزب الإصلاح الدستوري فمؤسسه الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وهو رئيسه وقد اختار له من الأعضاء من يجمعهم الرأي وترشدهم الروية وثبتهم الركن الركين الذي يأورن اليه قضاؤه أوضح قوانين الأحزاب ورجاله أدهى رجالهم والشيخ على نفسه أبعد المشتغلين بالسياسة المصرية غورا وأشد حمزا وأحذقهم في الدخول في الأمر والخروج منه . والفرق الحقيق بين هذا الحزب وغيره من الأحزاب التي تشارك في الخدمة العامة للأمة انه مؤيد لسياسة الأمير لا يتحول عنها في حال من الأحوال يتهم اذا اتهمت وينجد اذا أنجحت ويوالي من والت ويمادي من عادت فهو حزب طبعي متين والرجاء في ثباته وبقائه أقوى من الرجاء في سائر الأحزاب بحسب ما عليه مصر من الحالة الاجتماعية والسياسة الآن ولا دليل على تغييرها في زمن قريب

وما صرح به هذا الحزب في قانونه من كون طالب المجلس النيابي أصلا من أصوله لا ينافي تأييده لسياسة الأمير صاحب الحكم الشخصي فان طالب المجلس النيابي مرضي للأمير أيده الله بتوقيفه كما علم من حديثه المشهور مع مكاتب جريدة الطان الفرنسية بل لا يبعد أن يكون هو أول من فكر بوجوب طلب الأمة له كما يقول بعض العقلاء وأما الحزب الوطني فمؤسسه الآن مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء وهو رئيسه وهو جزء من الحزب الوطني الذي كان موجودا بالقوة أو بالفعل من قبل على ما بيناه في صدر هذا المقال والقسم الآخر من ذلك الحزب هو حزب الإصلاح

الدستوري . والفرق بين هذين الحزبين على ما أرى - وهو رأيي يوافقي عليه كثير من العقلاء - هو أن حزب الإصلاح الدستوري يجمعه الرأي وبه يعمل والحزب الوطني يجمعه الاحساس والشعور وبه يعمل وأن شخص صاحب جريدة المؤيد ليس ركنًا من أركان الحزب الأول - وإن كان قطبه وأقدر العاملين فيه - ولكن شخص صاحب جريدة اللواء ركن من أركان الحزب الآخر مقصود بالذات منه ولذلك اتفقوا على أن يكون رئيس الحزب مادام حيا بلا شرط ولا قيد . ويظهر لنا أن المعجبين بالحزب الوطني أكثر عدداً من المعجبين بغيره من الأحزاب . لأن منهم فيما يقال أكثر تلاميذ المدارس والخاضعين في السياسة من العامة وذلك معقول لأن هؤلاء هم الذين يتبعون داعي الشعور وينفضون لسلطان الوجدان ويحبون اللواء أكثر من عداهم . وقد سلكت جريدة اللواء طريقة تحريك الوجدان وتهييج الشعور الوطني بعناية عظيمة تناسب الاستعداد الغالب على الشعب . ويظن أن غرض أصحابها من ذلك ومن نشر الدعوة إلى حزبه في الأرياف هو أن يستميل رأي السواد الأعظم إلى نفسه حتى يكون زعيماً حقيقياً إذا دعا إلى شيء " تويده الأمة بالمال والحال . . . وادعائه هذه الزعامة من قبل دليل على استمداده لها فإنا قد تعودنا أن نرى كل رأي لواء معزوا إلى الأمة برمتها حتى مثل العقو أو عدم مقاصد ذلك المجرم القاتل في السودان . وقد أمدته في استمداده هذا الجرائد الانكليزية في أثناء حادثة العقبة إذ كانت تصفه بالزعيم المهيج وغرضها من ذلك معلوم فيا لله من دهاء الانكليز

هذا وإن في كل حزب من الأحزاب من الرجال المحبين لخير البلاد والمخلصين في خدمتها بحسب اعتقادهم من يعتمد عليهم في القيام بشؤونها . وقد جعل بعض الحقيقة من قال إن كل حزب قد أنشئ لتأييد جريدة ومدير تلك الجريدة هو منشئه ومسخره لجريده ومن أنه لا فرق بين هذه الأحزاب في المقصد ونرجو أن يكون إنشاء الأحزاب في مصر آية من آيات الأخذ بالارتقاء الاجتماعي وإن يكون تعددها سبباً لطول حياتها لما تقتضيه المباشرة والمزاخمة من تمسك كل حزب بما قام به ونسأله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والمصالح للبلاد



## أوروبا والاسلام

محمّد ومقابلة بين الاسلام والمسيحية في المدينة لوزير فرنسي

كتب السيد محمد الامرم من فضلاء التونسيين والموسيو دوديانوس المراقب المدني الفرنسي في بلدة موسى من أعمال تونس بالاشتراك تقريراً في الاحوال التونسية . وقدم هذا التقرير الى مؤتمر الاستعمار الذي اجتمع في صربيا سنة ١٩٠٦ الموسيو ميلي الذي كان في منصب الوزير المقيم لفرنسا بتونس وجعل له مقدمة بقله تلاها في المؤتمر . وقد ترجها في هذه الأيام بعض التونسيين ونشرها في جريدة الزهره فرأينا أن ننشر الترجمة في المنار بعد تصحيح ما لبارتها وهي : هذا التقرير على صغر حجمه يبين مسألة من أكبر المسائل الحالية وهي العلاقة

### بين أوروبا والاسلام

كانت هيئة الاجتماع المسيحية في خلال القرن السابع للمسيح على حالة محزنة تتنازعها من جهة غاية التوحش ومن أخرى ما أصاب الفكر من التعق والتدقيق في مفاهيم الألفاظ، وعلى هبتات سياسية دخلت في من الهرم وسفاسف دينية حلت محل اتساع انظار القرون الاولى . فالسلطة كانت تميل أحياناً إلى البطش وطورا الى مقتضيات الضعف لكنها في كاتنا الحالتين كانت مقلقة للبلاد فرومية كانت في جدال مستمر مع الاساتنة ( يعنى بابا روميه وبطرك الاسمانه ) ولم ينهض من صب البابا بالسلطة ويتخلص من الروابط الملوكية والنقالي في اعتقاد القديسين ( المراطيين ) الا وقد سقط في مهواة الوثنية ، وتركت الواجبات العسكرية واستبدل المأجورون بالمسكر النظامي ، واضطحت العائلة بالانجافي عن القيام بالواجب ولم تكن هناك حرية في الاعتقاد بل لم يكن رواج الاسلخ القسوس واضطهادهم لمن ينس ينبت شفة للاثلام أغراضهم . وبالجملة فالحالة كانت في تلك المصور محفوفة بجميع موجبات التأخر والانحطاط فظهر الاسلام والحالة هذه ونجح في تقدمه العجيب بسبب ما أحدثت السلطة اليونانية في النفوس من الآمة والمفت

جاء الاسلام مخالفاً لكثير من الاديان التي ضاعت حقيقةتها في غمرات الاوهام فان هذا الدين تنزه عما لا يعقل من الخوارق وقام على الحجج البينات التي لم تزل الى الآن موجودة غير أنهم في الغالب يحيدون به عن مقاصده لأنهم يريدون اختلاق الخوارق له مع أنها لم تكن ويتضح كل الانضاح ان سلطنا ان الاسلام جاء مقاوماً للمسيحية حسبما كان يفهمها اليونانيون أنه أي الاسلام جامع بين السلطين الدينية والسياسية كما ان ملوك بيزانس أي ملوك اليونان كانوا يدعونهمما وهو أي الاسلام قليل الغرابة في أصوله لأنه لم يكن المقصود منه في ذلك الوقت تجديد اعتقاد الناس بل تغيير انقيادهم الظاهري - فلما أثقلت كاهل المسيحية اليونانية فلسفة النوم المنكرة جاء الاسلام بنسخ النثلث وإزالة ادراك الفلسفة الاسكندرانية - ولما بعدت حقيقة المسيح الكنيسية شيئاً فشيئاً عن البشرية وفشا اعتقاد وتنظيم القديسين حتى انحدر بالناس الى عبادة بعض الاشياء من الكائنات جاء الاسلام بإرجاع المسيح - على تكريمه اياه - الى نسبة البشرية وبانكار القديسين - ولما أضعفت أديار الرهبان الدولة والعسكرية جاء الاسلام بابطاها - ولما كانت الغاية المسيحية إضفاف المائلات بإثارة العزبة على التزوج جاء الاسلام بكراهة تعدد قطع النسل وبالحث على التنازل بإباحة تعدد الزوجات - ولما كانت الهيئة المدنية المسيحية منقسمة الى مراتب وراثية متشعبة وكانت الرتبة الاولى فيها للقديسين جاء الاسلام بإبطال سلطة القديسين وإزالة حق الوراثة في المراتب والاستعاضة عنها بالاستحقاق الذاتي ( لا فضل لمربي على عجمي إنما الفضل بالملم والتقوى ) كما أنه أزال الوساطة بين الخالق والمخلوق وبين الرئيس والمرؤوس - ولما كان الملوك هم المحافظين على أصول الدين واستحوذوا بذلك على التصرف في العقائد والمعتقدين من رعاياهم جاء الاسلام بالتسامح والحرية في الدين على شرط قبول الداخلين تحت سيطرته من غير المسلمين بأداء الجزية وهو أداء خفيف جداً - ولما كانت الصدقة الانجيلية قد ضففت تقريراً تحت استئثار اصحاب الرتبة المفضلة من الهيئة جاء الاسلام بالحث على المادلة والتعاضد الى حد لا نهاية بعده - وبالجملة ان الديانة المسيحية لم يكن تأسيسها الا على الخوارق فلا سلام قد عدل عنها تقريراً وجعل نبيها بشراً كسائر البشر



هكذا كانت طباع الاسلام الاولى وان اعترى فروعه تغيير بسبب ما اعترى المسلمين من الأوهام فأصوله لم تنزل ثابتة الى الآن وقد تجلى الاسلام مبسرا ومستكلا للانسانية ومنزها عن القهوض ببساطة الوجدانية المعقولة وبذلك تباعد عن قضايا المعارضة بأنواعها، ولم يصد نموه ستة قرون مضت في المجادلات الدينية، وأربعة مثلها مضت على الادارة الرومانية (١) ولم يكف ذلك حصنا للمسيحية بل حصل هذا الدين الجديد على كثر ثمين بسرعة عجيبة (٢) وهو رغم مأسطوره كتبنا مستمر الدوام واذا تمحض لا ترفع بتنزعه عما ذكر من الادران أمكنه تقديم متبعيه على متبعي المسيحية بنحو ثلاثة أو أربعة قرون فان معالم بغداد وقرطبة الملحية كانت منابع الانوار الساطعة عند ما كانت معالمنا المسيحية منحنية على الجهل المطبق فكل العلوم وكل الصنائع وكل الفنون كانت تأتي من الشرق وجمهوريات البحر المتوسط كانت تكتسب بسطتها من علاقتها مع مخالفيها في الدين

وان زهرة هذا المدن النفيسة المحفوظة في أوانيها الجميلة الانيقة تقصر اشبيلية وجرهاء غرناطة لم تنزل تمجلا اشرف المسيحيين حتى بعد اضمحلال العربية بحيث ان مدة الاسلام المشعة دامت نحو ثمانية قرون نهايتها سقوط غرناطة، وكانت بعد ذلك فتوحات العثمانيين الذين تراهم على عدم التفاتهم لانفتاح الزهرة الفكرية قد اثبتوا للاسلام مدة قرنين أو ثلاثة عظمة سياسية وعسكرية وعليه فان الديانة الاسلامية حافظت مدة ألف سنة على قوة انتشارها ونظامها ولذا يصح ان نقول بحسب المدة على الاقل ان وظائفها تعادل وظيفتي اليونان والرومان معا هذا وبعد وقوف الشجرة الاسلامية عن النمو والازهار والأثمار لم تنزل عروقها آخذة في الاستداد الحثي وتنشق أرضها عن أخلاف غليظة في أماكن السودانين كما ان أخلافها في آسيا تحمل مع الراحة مادة التلقيح الهندي والماليزي والصيني (٣)

- (١) كذا في الاصل والله يشير الى الحروب الصليبية (٢) والله يعني «لكن زينة فتوحات»  
(٣) الأخلاف جمع خلفه بالكسر وهي مروثة يراد أن الاسلام لا يزال بهذا ذلك

فإنه الحقائق هي التي ينبغي استحضارها في الفهم عند ارادة التكلم عن

الاسلام باستخفاف !!

فإن قيل كيف طرأ السكون على أهل عقيدة شريفة معتولة مثل عقيدة الاسلام ولماذا وقفت في أفريقيا وآسيا الصغرى عن الأعمار الآن بعدما انتمت سابقا في الفرس واسبانيا ثم لأي سبب كان هذا التقدم الاورباوي الحالي المتروكي عما سواه ؟  
الجواب إن مسألة مثل هذه لا يمكن تفصيلها في مائة الأوراق لكن لما ان تقتصر على مجرد نتيجة فلسفية وهي ان تقول ان مدنيشا المسيحية الاصل قد فتحت مجالا متسا لاندو المادي وان نهضنا في القرن السادس عشر قد منحتنا جسارة في الفكر واختبارا في الفحص العلمي ربما لم يعرفهما المسلمون وإن الذي يهم في هذا المقام على كل حال هو اعتبار الحثيات عند ارادة الحكم في هذا الموضوع لان تتهقر المسلمين المشاهد اما ان ينسب الى نفس الاصول الدينية فيكون الاسلام محكوما عليه بالاقصاوعلى الحياة المادية، وإما ان ينسب الى أسباب خارجية عارضة فيكون قابلا للنهضة والرجوع الى ما كان عليه لكن هناك من السذج والاعرجار من يقضي عليه قضاء مطلقا بدون مراعاة الحثيات المشار اليها ولعمري إنه يصعب عليهم بيان كيف أمكن لهذا الدين الناصر على زعمهم انتاج ثمار عجيبة في الزمن الماضي وهم اناس لا يحسنون معرفة التاريخ ويقتصرون في حكمهم على ما تشاهده أبصارهم

قد انتشر هذا الفكر بفرنسا مدة المسألة الجزائية من حيث علاقتنا مع الاسلام ويوجد الى الآن هناك كثير من الفرنسيين بقوا عليه . لكن وجدنا بمصر ثم بتونس مسلمين من نوع آخر ولذا لم يكن من الممكن ولا المقنع الاقتصار على حكم استبدادي بسيط ووجب الرجوع الى الشواهد التاريخية وقد يجب الاعتراف حينئذ بأن طباع المسلمين عامة اعترافا تغيير من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وذلك تحت سلطة الانراك بالمشرق وسلطة البرابرة بالمغرب ففي اسبانيا انقطعت الملائق بين المسلمين والمسيحيين بعد سقوط غرناطة دفعة واحدة

= النمو الأول يمتد في أفريقيا وآسيا فينتج بالاعمال به الهنود والماليزيون والصينيون ولكن عبارته مجازات واستعارات وترجمتها ضيقة



والتعصب من الجهتين هو الذي حماهم على ذلك . واما من جهة الاستانة فالملائق السياسية قد استمرت ولكن العملية سقطت في العدم فالبرابرة بالمغرب والأتراك بالشرق سارا كأنهما جرمان ثخينان بطرفي السلك . منعا سيلان الكهر باء فيه والحقيقة أنه من تاريخ عدم التفاهم بين المسلمين والمسيحيين قد اختلفت كل فرقة من أساليب دينها ما يلائم احساسها فعميدة القضاء والقدر ليست هي أساس الاعمال في الاسلام بدليل ان القرآن لا يرى مانعا من تقدم الامم بتعاطي أسباب التقدم لكن عقيدة القدر تسري بالعرض والتبعية الى فكر المسلم الساذج بمعنى أن تصرف الخالق في المخلوق يكون مباشرة (أي بلا سعي ولا سبب) ولذا ترى المرابطين علماء اللاهوت من البربرية يباثون منذ ظهوروا في النمساك ببعض النصوص الدينية مع خلوها عن الفائدة ويخطبون في الناس كهمض اهل المذاهب المسيحية مقاومين لكل تمدن واعانهم على ذلك عربان الخيام بأفريقية وعموا هذا المشروع المنتج للصلابة واليبس مع كونه انتزع من الدين لئنه ومساعدته على اكتساب التمدن وتصره على حركات بدنية -- لكن الفرق المستنيرة التي يحايي ايمان افكارها لئان البحر المتوسط انسجبت مع أمواجه وتجمعت بيلد ان السواحل لتقدم تعب المدافعة ومصادمة البربرية في الجزائر سابقا وفي مراکش الآن عروش الخيام يعني الذين ولد فيهم الجهل شدة التعصب الديني هم الذين وجدناهم عرضة لنا . ويجب أن نفاهم في معنى التعصب هنا وهو ان هاته العروش انما يصعبون للامتثال والهمجية فالدين عندهم هو الراية التي يتخذونها وسيلة لفظية بنفهم للاجنبي فالرحالون لم يكن أوائلهم مسلمين مع انهم كانوا يدون مثل هذه الاحساسات بعينها نحو الفاتح الروماني وكان الامر يشبه علينا في الزمن السابق فيظهر لنا ان الاخذ بثارنا من هاته العروش أمر طبيعي وان ذلك يكون باغصاب أملاك المساجد والجوامع مطلقا حتى أرشدنا التجربة فيما بعد الى حقائق الامور فعاملنا التونسيين بمزيد الاعتبار فاحترمنا دولتهم وعوائلهم وشرايئهم وعدائهم وجوامعهم وأهلاكم وفي الحقيقة إن ما وجدناه بتونس لم نجد بالجزائر - وجدنا بتونس نخبة من الاعيان الالهيين ومجتمعا ازاولة الملوم وهو جامع الزيتونة فانه وان انحطت شهرته عما كانت عليه في القديم لم تزل به مادة الحياة قوية توذن بقرب عود اخضراره

وهاته الحالة المساعدة أمكننا معها أن نخطو خطوة زائدة سنة ١٨٩٨ وهي تأسيس جمعية من شبان التونسيين المتعلمين تحت عنوان الحلدونية تذكارا للمؤرخ العربي ابن خلدون وتكملت هاته الجمعية بادخال الفنون الاوربية بين طلبة الجامع الاعظم وافتتحت دروسها بمسامرة نظامية وقام أحد مدرسي الجامع الاعظم ببيان أن لا قوة بين الاسلام والعلوم المصرية

وأخيرا وقع اقتداء بالجزائر (كذا) قبول بعض افراد من الاهلين بمجلس شوري المصريين ولم يبق في الامكان أن نرجع فيما منحه للاهالي من حق التكلم والمناظرة ولا ان نسد أفواههم وقد بادروا لاستعمال هاته الوسيلة بالانتقاد على عدم الاهتمام بشؤونهم وعضم جانبهم المتجدد في كل حين الذي يحملنا على ارتكاب العجب الاوروبي فمع كوننا نحترم عوائدهم سياسة فاننا لا يهنا أن ندوس حقوقهم بما لنا من عدم الا تراث الذي طالما انصف به الغالب المعتد أفضليته المطلقة على المطلوبه فهذه التقارير التي ستقرأ عليكم يتكون منها كراسة المطالب الاسلامية التونسية وأهم غرايتها كونها تؤذن بالمشاركة والتعاون بين العنصر الاوربي والعنصر الاهلي وفيما أعلن ان هاته أول مرة أتيح فيها لمسلم انتقاد آراء غيره زيادة على ابداء رأيه في تقرير رسمي على ان استعمال السيد محمد الاصرم لهاته الحرية هو في نفسه أقوى برهان لتأييد رغائب بني جنسه ودينه ومن المستحيل ان يأتي هنا الكاتب بأكثر مما أتى به من التلطف في التعبير مع صحة المعنى واستقامة الدليل في عرضه التشكيكات المقبولة . كأن حجاباً يتمزق لبريقنا من ورائه باطن هيئة لا نرى منها الا ظاهرها . اما قيمة النتائج التي يعرضها علينا فانها دون ما فاجأنا به من بيان مقاصد الديانة الاسلامية الحقيقية وبهاته المناسبة نبادر لزيادة الحث على قراءة الفصل ١٩ والفصل ٢٠ المتضمنين لما عليه الاسلام الآن بالايالة التونسية وما نأيه الطرق الدينية فيها

ولا ينبغي ان الكاتب من المسلمين وهو الذي أفادنا ان عربان المروش هم من أردوا المسلمين من حيث العقائد بخلاف سكان المدن فانهم متخلطون باخلاق المسألة وان الوسيلة الوحيدة لتغلب على هذا التعصب الاعمي هو الحث



على قراءة القرآن التي تركت الآن تقريباً وعلى نشر المعارف والرجوع الى اخلاق الاسلام التي منها فعل الخير والتعاقد والتسامح وهو الذي يؤكد لنا اقبال المسلمين المستنيرين على الملوم الأوروبية وهو الذي يرينا ما في الطرق الدينية والافراط في الميل الى الدراويش من الاسباب الموفرة لوجه الاسلام. ونرى مما ذكره لنا من قواعد بعض الطرق ان هناك شيئاً يشبه قواعد الجزويت اعصبة دينية ديدنها النعيل والاسنثار) وهو الاتقياء الاعمى المبرعنة باللاتينية عندهم «كن كجثة» فهذه الملاحظات حرية بالاعتبار في اسباب التفقر العارضة للاسلام الذي جاء معارضاً للخوارق المسيحية فاستقطوه فيما جاء معارضاً له باحداث ما يدعونه بالنصوف الذي تولدت منه أنواع من الخوارق ربما كانت أكثر خطراً من أمثالها في المسيحية. فالاسلام أمر بالمساواة والتوجه للعمل وعدل التمتع بنعيم الدنيا فطراً على هذه الاوامر ما اختلفت الطرق الدينية من التوكل الاعمى الباعث على عدم التبصر في العواقب ومن الفقر (الزهد) والطاعة العمياء والجمود وهي كلها مهيئة لناهج كل استبداد. ونزعه الاسلام عن الموان (فرقة من الرهبان) فجاءت الاوهام البربرية وأحيته في الدراويش ونفني بالموان هذا التراث الذي يتعاطى شيئاً من أنواع السحر والمرفوع عنه التكليف (كذا) وعليه ان كان المسلمون في تفهم فلان الاسلام انحراف عن أصوله ووجه تغير مساهمه لكن الجرائم اللازمة لنهضته لم تزل كامنة فيه ولذلك يلزم الرجوع الى القرآن بعد تفسيره واستخراج عماده بطرق الملوم المصرية - فأول أمة أوربية تنجرد عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الخطة العالية يمكنها بذلك ان تتقدم على غيرها تقدماً عجيباً فان تماطيا لما ذكر يكون له أحسن صدى في قلوب مائتي مليون من المسلمين

فاليوم انني تشر فيه فرانساً عن ساعد الجدوتسعي في تعليم وثنية الاهالي - ولا نقصد بذلك ان تلزمهم بنظام تابل أن تسير بهم في مناهج التقدم الملائة لطباعهم - هو اليوم الجليل حسب قول ميسو جونار الذي تحصل فيه على أكثر من فتح الممالك اذ به تتحقق لها السلطة على الارواح اه

(المنار) صنين في الجزء الآتي رأينا في هذه المقالة أو المقدمة

## أعمال حسن باشا عاصم

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً عن أخلاق حسن باشا عاصم ونكتب في هذا الجزء شيئاً عن أعماله وعمدتنا في هذا وذلك الاختبار، وغرضنا منه بيان طريق التأسي والاعتبار، وإنما قدمنا الكلام في الأخلاق، لأنها هي، صادر الأعمال، فهي الأصل الأصيل في تفاضل الرجال، ولم نسلك فيما كتبنا ولا فيما نكتبه الآن سلك الاستقصاء بل نكتفي بما قل ودل

### تعميد في تربيته وتعليمه

بالتربية والتعليم يتفاضل المتساوون والمتفاوتون في الاستعداد وقد اتفق حسن عاصم منهما ما أظهر استعداده العظيم . كان والده من حاشية محمد باشا عاصم أحد كبار المديرين في هذا القطر ولم يكن لهذا نسل . وولد حسن في حجره فسر به وتولى تربيته بل تبناه وأضاف اسمه إلى اسمه فعمله التعليم الابتدائي والوسطي والمالي فانتقل من المدارس الابتدائية إلى مدرسة الإدارة ( الحقوق ) فكان في طليعة التاليفين ثم أرسل مع بعض التاليفين إلى فرنسا على نفقة الحكومة للتزقي في علوم الحقوق والسياسة فلما قاما بمجده واجتهاده حتى كان من خير التاليفين وحمل الشهادات العالية فيهما . وكيف لا وهو لم يكن يعرف اللهو والبطالة ولا من يحمل بالذات والشهوات البدنية وذلك هي قواطع طريق العلم على طلابه لاسيما في أوروبا ولا سيما في فرنسا . وما أظن إلا أن بيت محمد باشا عاصم كان نقياً من اللوث الذي تلتخ به كثير من البيوتات كالسكر وما يتصل به عادة وكأني بذلك الرجل وأنا لم أعرفه ولم أعرف عنه شيئاً كان بصيراً بالمفاسد التي تدب إلى الناشئين في السعة فخال بين ربيبه وبينها فلم تلتدنس نفسه برذائل المترفين، ولا بدناءة المسوزين، فهذه التربية النقية هي التي ساعدته على كمال تحصيل العلوم حتى كانت وهو ابن الخادم مشرفاً للمخدوم بنسبته إليه ومحياً لذكوره ولولاه لما عرفه مثلي ولا دون اسمه في هذه المجلة الإصلاحية . وكم أفسدت باريس من أولاد الأسماء والوجهاء الذين هم أرفع من محمد عاصم باشا ذكرافي قوهم



عمله في القضاء والنيابة

لما عاد من أوروبا جعلته الحكومة مساعدا للنيابة فوكيلا فرئيسا في الاسكندرية ثم في طنطا وكان قد مات محمد عاصم باشا فكان خير خليفة له في أهله حتى انه كان ينفق معظم مرتبه الشهري على قتلته في المراتب التي كان يقوم بها مريضه الذي مات ولا مال له . بل لم يتعجل في العودة من أوروبا الى مصر لا لأجل هذا فقد كان ينبغي الاستزادة من العلم الى ان يصير دكتورا في العلوم التي كان يشتغل بها بعد أن قال شهادتها العاليه المبر عنها عندهم بالليسانس ففاجأه نعي مريضه فاكثني بما حصل ، ورجع عما كان أمّل ، وقد كان في النيابة العامل المصلح لنظام وجمال الاجتماع إذ كان يتعقب الاشقياء المفسدين وصلبة الامن المتهدين حتى طهر منهم المديريات التي مظلم بلاؤها بهم . وكان يزجي كل من تحت رياسته في الجد والاجتهاد فلا يكادون يجدون ساعة بطة

ولما جعل السير سكوت مستشارا قضائيا لمصر وجه همه الى اصلاح المحاكم الاهلية وكانت مخنلة معتلة فكان يطوف على رجال القضاء والنيابة يسألهم عن رأيهم في الاصلاح وما يشكون منه فما كان يسمع من الاكثرين الا عبارات التناء والاقرار بالرضى عن الحال الحاضرة . حتى ظفر بحسن عاصم فأخبره هذا بجميع الملل وبطرق علاجها فجاء به وبصديقه علي بك فخري الذي رأى فيه مثل نباهته واستمداده وجهاهما مفتشين للقضاء ثم عضوين للجنة المراقبة التي أنشئت في نظارة الحفانية فكانا هما الواضعين لنظام المحاكم الحاضر وطريقة المراقبة القضائية المتبعة بل كان حسن عاصم هو الذي اقترح بموافقة رفيقه - اختيار القضاة من أهل الكفاءة بالاستقامة والنباهة واختيار البلاد كالمخرجين في دار العلوم وغيرهم ممن عرف بالعلم والفضل وان لم يكن متخرجاً في مدرسة الحقوق وبذلك تيسر للحكومة إصلاح المحاكم بقدر الامكان .

ومن خدمة حسن عاصم للقضاء وضع مشروع المحاكم الجزئية ثم السمي مع صديقه علي فخري في انفاذه عند سنوح الفرصة لهما بثمة المير سكوت المتشار المحب للاصلاح بهما . وله في ذلك أعمال أخرى ليس من غرضنا تفصيلها . وكان للسير سكوت

من الاعجاب بعلمه واستقامته وقدرته على العمل ما أحله عنده في أعلى منازل الثقة والكرامة . وأراد ترقية فلم ترض الوكالة البريطانية بذلك بل حاولت ان تدليه لاثامها إياه بمناصبها ففرقت عليه السياسة الاستمرارية في عمله النافع في المهام وكذلك شأنها ما دخلت في عمل الا وأفسدته كما كان يقول الاسناد الامام . وما كانت مهمة حسن عاصم بالسياسة محض اختلاق ولكن ربما كان يبالغ فيما ينقل للوكالة عنه أو كانت الوكالة تنظر الى الامور بين الاحتياط فتراها أكبر مما كانت عليه

كانت في البلد حركة وطنية قبلتها بل روحها الامير الجديد عباس حلمي باشا تيمشها الآمال، وتجدوها الاقوال، حتى تزجها الى بعض الأهمال، التي كان يظن انها وسائل لازالة الاحتلال ، والتمتع بكمال الاستقلال، وكان أكثر أهل الفهم والرأي من رجال الحكومة وغيرهم مغرورين بتلك الحركة ولم يسلم من شيء من ذلك حسن عاصم على أناته وبصيرته وكان صديقه ورفيقه في العمل علي فخري بك أشد منه إعجابا بل تحمسا بها بل أقول انه لم يسلم من الغرور بتلك الحركة أحد من أهل الرأي والظهور في البلد الا مادون عدد أنامل اليد الواحدة .

قد يظن بعض الشبان اليوم ان في البلاد حركة وطنية قوية لم تكن من قبل وما ذلك الا لانهم لا يعرفون شيئا عن الحركة التي كانت من نحو خمس عشرة سنة اذا كان الرجال يهجرون عربة الامير بأيديهم واذا كان الامير يمود من سياحته الصيفية فتكتظ الاسكندرية بمئات الألوف لقائه حتى قيل انه دخل الاسكندرية في يوم واحد ثمانون ألفا من أهل الأرياف . وما ذلك الا لأن السلطة الأجنبية ثقيلة على النفوس البشرية تنفر منها بالطبع فاذا آنت بصيصا من الأمل بالتملص منها على يد من تشق بهم من أبناء جنسها السياسي أو الديني فانها لا تهتم ان تعيش اليه، وتقول عليه ، وقد كان الشعب يرى من الامير الجديد منذ نولى ذلك البصيص بل كانت ترى من حاله ، وتسمع مما ينثر من درر أقواله، ما يجعل ذلك البصيص نورا ساطعا يملأ الجوانح آمالا ، وينفر بالنفوس الى الجهاد الوطني خفاقا وثقلا ، فلا عجب اذا كان مثل حسن عاصم وهو في شبابه ممن كان يظن أن في تلك الحركة بركة لاسيما وهو مطلع على ما كانت تدبره فرنسا وما تهد به مصر وتغنيها



غرضنا من هذا البيان ومن سائر ما نكتبه عن الرجل ان تكون المبرة بسيرة رجل تابع منا مبنية على أصل ثابت ورواية صحيحة في زمن لا يكتب فيه عن رجال مصر الا أصحاب الصحف السياسية في الغالب وهم لا يبينون من الحقائق الا ما تسمح لهم به السياسة على الوجه الذي تحبه وترغاه

فإنهم الشبان المتحمسون في الوطنية الذين تهيجهم نفقات المتفنين بأشعارها، والضارين على أوتارها، ان هذا النابغة الذي يفتخر الوطن به قد تحمس في شبابه بالسياسة أياما كانت دواعي التحمس فيها أوفر، والآمال بالانجاح أقوى، ثم استقر رأيه بعد الاختبار على ان العاملين للوطن والمخلصين في خدمة الأمة يجب عليهم أن يتزهدوا عن شوائب التحمسات السياسية، والهيجات الطبيعية، وان يلتزموا السكينة والروية، ويجعلوا عمدتهم اتقان الأعمال، ودون الفرور بزخرف الاقوال، والانخداع بالدعوى العراض الطوال، لذلك كان يعمل ليله ونهاره من غير لفظ ولا دعوى، ولا تذر ولا شكوى، بل كان ذلك دأبه منذ كان

كان السير سكوت المستشار المصلح الخالص على ما هو مشهور بين جميع العارفين قد وعده بأن يجعله نائباً عمومياً بعد ان جمعه الأ فوكا والعمومي ولكن لورد كرومر أمره بعزله كما يقال فخار في أمره وبعد العناء والجهاد قدر على ان يستبدل بالعزل جملة قاضياً في محكمة الاستئناف الأهلية بمصر بمرتب أقل من مرتبه قبله فلم يزد ذلك الا جداً في العمل ومضاه في الإصلاح. ومما يؤثر عنه انه كان يسمع خبر عزله فلا يحدث عنده فتور ولا مللاً ولا يثنيه عن الابتداء بعمل جديد أو وضع مشروع لعمل مستقبل وان كان يتوقف تنفيذ هذا وإتمام ذاك على بقاءه في عمله. وقد كان مما اقترحه في أثناء التحدث بعزله نقل طائفة من الكتاب اليومية في محكمة الاستئناف لعدم الحاجة اليهم الى المحاكم الابتدائية التي هي في أشد الحاجة اليهم فأخبره رئيس الكتاب بأن أمر عزله قد تقرر بل كتب ولم يبق دون تنفيذه الا ختمه فقال رحمه الله ما مضاه ان هذه فرصة تحرر اضاعتها وانني أعمل الواجب ما دمت متمكناً منه وان هذا التمكن يستمر الى أن ابان الأمر بالعزل رسمياً.

عمله في المية

عز على أصدقائه هذا العامل المصلح ان يكون غنيا على عمله عند القوة الفعالة في البلاد، وان لا يوضع في الموضع الذي يستدته من ناصية القضاء ، ولا خلا منصب رياسة التشريفات عند الأمير بنقل عياني باشا منه الى نظارة الحربية بادر الاستاذ الامام فرغب الى الأمير ان يجعل الفقيه رئيساً لتشريفات قدكره الأمير رجلاً آخر من المرشحين عنده لهذا المنصب فقال الاستاذ الامام رحمه الله - وكان الأمير أطال الله عمره بقدر رأيه حق قدره - كلا الرجلين كفؤ ويمتاز عاصم بمعارفه القضائية وأفندينا تعرض عليه القوانين واللوائح فيحسن ان يكون في معيته من يدرسها ويبيدي رأيه فيها : ذكر لي ذلك الاستاذ في سياق عناية الأمير به وكونه هو الذي اقترح جملة مستشارا في الاستئناف ثم جعله مفتياً وما كان فضل عاصم ليخفي على الأمير لذلك فضله على غيره وولاه هذا المنصب

اتنا نرى من المعلمين من يختار أو يختار أولياؤه علم الحقوق ليكون قاضيا أو محاميا أو علم الهندسة ليكون مهندسا أو علم الطب ليكون طبيا مثلاً. ولكننا نرى النابغين فيما يوجهون جل عنايتهم اليه قليلين وأقل من هذا القليل من يبرع في العمل كما نبغ في العلم وأقل من هؤلاء من يعهد اليه عمل غير ما استعد له واشتغل فيه فينته بعد اتقان غيره والبراعة فيه. أولئك الذين اعطوا من المواهب العقلية ما أعدم لاتقان كل عمل يشغلون به وقد كان حسن عاصم من هذا الفريق النادر فإنه كان في أخلاقه وجل معارفه وسابق عمله أبعد الناس عن خدمة الامراء ولكنه على هذا عمل في خدمة الأمير ما عجز عن مثله كل من كان في خدمته وخدمة أسلافه كما عجز عن الزيادة عليه من جاء بعده

كان رجال التشريفات من قبل رياسته لا عمل لهم في غالب أوقاتهم فخلق لهم من الأعمال ما استغرق عامة أوقاتهم في القصر حتى انه استخرج دقائر التشريفات القديمة من عهد محمد علي وعرف ما في ذلك وحاضره ثم وضع لتشريفات نظاماً ثابتاً حدد فيه أوقات المقابلات الرسمية وغير الرسمية وكذلك



الدعوات وحفلة المرقص الحديري فقد كان كل ذلك محفوقاً بالفوضى والخلل . ومن ذلك أنه اشترط فيمن يقابل الأمير شروطاً في الزي للموظفين وغير الموظفين قد تختلف باختلاف المقابلات واختلاف زي الأمير العسكري والملكي فيها وتقد ذلك كله على الوطنيين والأجانب على سواء . وما كان يسهل عليه أن يشد عن نظامه ذلك أحد

وأذكر من تنفيذ النظام على الأجانب من كبار المخنيين وغيرهم أن بعض كبار الموظفين منهم جاء عابدين بلباس غير ما يجب في تلك المقابلة فنبهه إلى ذلك فماد إلى بيته وغير زيّه

وأعظم من ذلك أن المرقص الحديري كان يحضره من أوشاب الافرنج من يعرف ومن لا يعرف . وسبب ذلك أن ديوان التشریفات كان يرسل إلى كل وكالة سياسية للدول عدة أوراق ليس عليها أسماء ليدعي بها وجهاء الأجانب فكان يأخذها من هم أهل ومن ليسوا بأهل لحضور مجالس الأمراء والملوك فكان من النظام الذي وضعه له حسن عاصم أنه لا يحضر المرقص أحد إلا من دعاه ديوان التشریفات دعوة خاصة باسمه وأنه لا يدعو من الأجانب إلا من كان معروفاً عند الأمير ولو بتقديمه إليه قبل المرقص بزمن قريب كما أنه لا يدعو من الوطنيين إلا من كانت صفته كيت وكيت ككونه من أصحاب الرتبة الثانية فما فوقها أو ما يقابل ذلك . فساء هذا النظام وكلاء الدول وقناصلها فهدوا إلى لورد كرومر وهو أقدّمهم أن يتعرض على ذلك ويتلافاه فسلم حسن باشا فيه فاحتج عليه هذا بتفضيل النظام على الفوضى وأطلعه على إعلان من شركة كوك التي تتولى نقل السياح في مصر من مكان إلى آخر وفيها أن سياحها يشاهدون كذا وكذا من الآثار القديمة ويحضرون المرقص ( البالو ) الحديري ، فقال له اللورد : انني أجل النظام ولا يلقى بي ولا بدولي أن نتعرض عليه ونمحن دعائه ولكنني أعلم أن السراي لا يلتزم فيها نظام بل المستثنى فيها من القاعدة أكثر من المستثنى منه ف نحن لا نرضى أن يكون النظام سارياً علينا وهو غير مطرد : فقال له الفقيد : انني أضمن لجنايتكم بأنني أنفذ هذا النظام ما دمت هنا بلا شذوذ قط وعليّ تبعة ذلك

الا أن بأمر ربّ الممكن بشيْء فلا يمكن لحادته أن يعارضه فيه إذ يحتمل أن يقدم له شخص في غير السراي فيدعوه هو مثلاً فهل يمكن أن يستل عن ذلك؟ فاقنم اللورد بذلك ولم يسمعه إلا الرضى . سمعت هذا من الفقيد نفسه وقد مكث في منصب رئيس التشريفات بضع سنين ثم رقاها الأمير فعمله رئيس الديوان الحديوي فكانت خدمته أجل وأوسع إذ تعدت خدمة الأمير الخاصة إلى خدمة الأوقاف العمومية . ولكن قلب الأمير تغير عليه ففصله بعد ثلاث سنين من منصبه بالإحالة على الماش . فكبر ذلك على الناس وكثر حديثهم فيه وظهر أثر ذلك في الجرائد فكانت متفقة على إنشاء على الفقيد فرأينا أن نجعل ذلك وسيلة للموعظة وسوق العبرة إلى المستعدين الاقتداء بعظماء الرجال وطلاب الفضيلة والاستقلال فكتبنا برقمه في المنار نبذة في ذلك ( راجع ص ٧٧٥٨ )

وقد أشار المؤيد إلى نحو ما نقلناه يومئذ عن اللواء مع زيادة إذ قال عند بيان سبب عزل الفقيد من رئاسة الديوان الحديوي في ترجمته له ما نصه :

« وقد أمضى الفقيد نحو سبع سنوات رئيساً للتشريفات الحديوية وثنائاً رئيساً للديوان الحديوي مثلاً لا أشرف موظف نزيه بمخلص العمل والخدمة لمولاه ويؤدي الوظيفة المنوطة به أشرف أداء . ثم فصل بعد ذلك لأسر حسب نفسه فيه مؤدياً واجباً كما ينبغي عليه وحسبه الجنب الحديوي متعتاً فيه . وزادت الريّة منه كلمة قالها اللورد كروس لـ « دوساء الدواوين الحديوية ليلافها للجنب العالي إذ قال اللورد » اتني أهني . الجنب الحديوي بوجود رجل مستقل قوي الإرادة نزيه مثل حسن عاصم باشا في معيته » فخالج الجنب العالي ذلك الفكر الذي طاف قبلاً على خاطر اللورد كروس لأن هذا اللورد كان قد اعتقد أن شدة مراس الرجل في وظائفه القضائية أثر ظاهر من آثار الانحياز إلى جانب المعية السنية وهي التهمة التي كانت تاقى على كرام الوطنيين للتكيل بهم . ولذلك كان يحسب الفقيد من أشد أعداء الوكالة البريطانية . فلما جاء الوقت الذي تجلت فيه صفات الفقيد كما عي شهد تلك الشهادة العالية فأولت التأويل الطبعي الذي كان نتيجة شدة التنافر بين عصر الدبارة وتابدين . ولذلك قال كثيرون



من الناس ان اللورد أراد بحسن عاصم باشا سواء اذ شهد له هذه الشهادة وهو يعلم ماذا يكون وقعها من نفس مولاه في تلك الظروف اه ثم قال المريد انه لم يطل الامر بعد ذلك حتى رضي عنه الامير

ونحن نعلم ان اللورد قال كلمته في التقيد عن إعجاب بمزاياه لا سيما بعد ما تبين له ان الحق عنده يعلو على كل شيء فلا يتحيز لغيره ولا يراعي فيه مولاه الامير فضلا عن دونه . وان الذين قالوا انه أراد به سوءاً يسيئون الظن بالامير اذ يعتقدون ان اللورد يتدر بكلمة واحدة ان يغيره على من يشاء وان ثبتت استقامته وكفائه بحيث صار أشهر بهما من علم في رأسه نارا ، وأظهر من الشمس في رابعة النهار ، والامير اذ كي ذهننا وأوسع فهمنا عما يعتقدون

#### عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية

كان سبب تأسيس هذه الجمعية ان مشعوذاً ممثلاً اجنياً جاء مصر من نحو ست عشرة سنة فرجع منها مالاً كثيراً فراد ان يجعل ليلة من لياليه لفقراء المسلمين وبلغ محافظ العاصمة ابراهيم باشا رشدي ذلك فاجتمع بعض أهل الفيرة والفضل وانتمروا بينهم في ذلك فاتفقوا على أن يزبنوا حديقة الازبكية في تلك الليلة ويضيفوا الى ألعاب المشعوذ فيها ضروباً أخرى من اللهو المباح ومحفظوا المال ليجمروا اليه غيره بالبرع وغيره ويجمعوا ذلك أصلاً للجمعية خيرية اسلامية وكاشفوا المحافظ بذلك فواقهم عليه (وقيل ان زينة الحديقة كانت بعد) أولئك هم الاخلاء الصادقون في خلة بعضهم لبعض وفي حب لهم وأمتهم منهم تقيين: فاليوم الذي نسير بسيرة وقهدنا بالامس الاستاذ الامام رحيم الله ومنهم سعد باشا زغول وحشمت باشا ودروس بك السيد احمد واخوانهم من الاحياء أطال الله أعمارهم وقد وضع هو قانون هذه الجمعية بشاركتهم على أساس من الحكمة متين وكان أحكم أصوله وجوب إضافة نصف الدخل (الايراد) السنوي الى رأس المال لأجل الاستقلال والنصف الآخر يكون للتعليم وإغاثة الفقراء . والسبب في هذا ضعف ثنتهم بأهل البلاد في كل ما يقوم بالتعاون والاجتماع لا سيما اذا كان لمحض الخير وكان حسن عاصم أضفهم ثقة حتى انه لم يكن يطلب من أحد معاونة ولا تبرعاً الا نادراً وكان جل خدمته الجمعية في

## (المنار ١٠-١) أعمال حسن عاصم في الجمعية الخيرية ٧٨٩

الإدارة الداخلية لما إليها ومدارسها فكان ينظر بنفسه في الأمور الكلية والجزئية حتى ما كان من شأن الكتبة . قال لي درويش بك أمين سر الجمعية أنه ما كان يكلفني الا ضبط الحسابات ثم هو يقوم بسائر أعماله . وأما الأستاذ الامام فكان لا ينظر في الأمور الداخلية الا الى الكليات ونحو امتحان من يرشحون للتعليم في المدارس من الجزئيات وكذا أمور التنفيذ اذ كان رئيساً ولكنه كان يسمى في الخارج لتكثير مال الجمعية ويدعو الامراء والوجهاء حتى كبراء الاجانب الى التبرع لها أو الاشتراك فيها وهو الذي دفع الوشايات عنها ولولاه لما بقيت فكانا رحمها الله تعالى يكلل أحدهما ما يقصر فيه الآخر

وهنا نبين الحقيقة في مسألة ألم بها المؤيد فلم يحسن التعبير ولا وافق الصواب وكانت عبارته وهو يقصد بها مدح عاصم باشا ذماله بالاستبداد والشذوذ عن الآداب وهضم الحق رئيسه في الجمعية ( الأستاذ الامام ) وكذا السائر اعضاء مجلس الإدارة اذ جعل وجودهم في المجلس كعدمهم من حيث أنهم لم يكن لهم رأي ينفذ اذا خالف رأي عاصم باشا . بل أقول ان هذه العبارة تفيد سلب أقوى مزايا عاصم باشا عنه وهي مزية التزام النظام واتباع القانون كانه أمر إلهي . ولا شك ان صاحب المؤيد لا يقصد هذا ولكنها زلة قلم ولا عصمة الا لكتاب الله تعالى . أما عبارة المؤيد فهي :

ولم يكن يسمح لاحد أن يتعدى على النظام الذي عمله لها حتى استبد بجميع شؤنها وله في كل سنة وقفة أمام مجلس ادارة الجمعية الخيرية الاسلامية في شبيته ينتهي الامر فيها الى العمل برأيه ومع ما كان من صداقته للمرحوم الشيخ محمد عبده وخصوصا حيث كان رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية قد أراد هذا أن يتدخل سنة ١٩٠٤ في أمر مدرسة المحلة الكبرى فرأى الفقيه أن تداخله هذا قد يشوش عليه عمله ويجهل لاساندة مدارس الجمعية وأهالي تلامذتها مندوحة الى مخاطبة غيره في أمرها فكتب اليه تلمذاً وهو في المنصورة يقول له ( لا تضع قدمك في المحلة الكبرى قبل أن تقابلني ولا أسمح لك بالتدخل في شؤون مدرستها ) أو ما هو بهما - فجاء الأستاذ المرحوم الى القاهرة وجرى بينهما كلام أدى الى اختلافهما



## ٧٩٠ أعمال حسن عاصم في الجمعية الخيرية (الناشر: ١٠-١٠)

في الرأي اختلافا شديدا فابي التقيد الا أن ينفذ رأيه أو يستنزل منه كله في الجمعية ونم له ما أراد ولم يكن قصده الا أن يستقيم أمر المدارس علي ما اعتقده أفيد لا دارتها اهـ أما حقيقة المسألة التي أشار اليها المؤيد فهي ان بعض المؤسسين لمدرسة المهلة بما تبرعوا به من المال لهم أولاد تجاوزوا السن التي يشترطها قانون مدارس الجمعية الخيرية في التلاميذ الذين يدخلونها . وهم ما بذلوا المال الا رغبة في تعليم أولادهم في بلدهم أولا وبالذات ثم المساعدة على تعليم الفقراء ثانيا وبالعرض فلما عهدوا بإدارة المدرسة الى الجمعية كما هو المقصد الأول من تأسيسها أراد حسن باشا ان لا يقبل أولئك الاولاد في المدرسة التي أسسها أبائهم لأن اتباع النظام والتزام القوانين عنده من الامور الوجدانية التي لا يناش فيها كما علم ذلك مما كتبناه في أخلاقه رحمه الله . وكان من رأي الاستاذ الامام رضي الله عنه أن يقبل أولئك الاولاد لأن رأيه في القوانين انها وسائل لدفع المضار وحفظ المصالح وإقامة العدل فتمنى عرض من الحوادث ما يكون التزام القانون فيه مخلا بالمصلحة أو منافيا للعدل وجب أن يعمل في الحادثة التي هذا شأنها بما يقوم به العدل وتحقق به المصلحة وهذا ما عناه حسن باشا عاصم نفسه بقوله في تأييده انه كان في القضاء ما يعبر عنه الافرنج « بقاضي العدل والانصاف » وأقول - والشئ بالشئ - يذكر - انه كان قد وشي به اذ كان قاضيا للمستشار القضائي بأنه يخالف القانون عمدا في بعض أحكامه فسأله المستشار عما قيل فأجابه: هل القانون وضع لأجل العدل أم العدل وضع لأجل القانون ؟ فقال بل القانون وضع لأجل العدل فبين له حينئذ القضايا التي لم يلتزم فيها نص القانون وانه لو التزمه لخرج عن العدل وثرنب على ذلك من المفاسد كبت وكبت فشكر له المستشار ذلك

وكان على هذا الاختلاف بين الصديقين في هذا الاصل أو المبدأ - كما يقال - قد حدث ان الاستاذ امر بشئ يخالف للقانون على سبيل الاستثناء لأجل المصلحة العارضة فأنفذه حسن باشا عمه ضاماً ثم قابل الاستاذ وقال له انني انفذت أورك الذي كتبت اليّ به لان أمر الرئيس متى صدر بالفعل وجب تنفيذه كيفما كان وإلا فلا معنى للنظام ولا للرئاسة ولدتني أرجوك أن ترجي ما تراه من

## (المنار ١٠-١٠) أعمال حسن عاصم في الجمعية الخيرية ٧٩١

مثل هذا الى ان نجتمع ونتذكر فيه . فلما عرضت مسألة مدرسة المحلة خاف حسن باشا ان يمد رئيس الجمعية آباء أولئك الاولاد أو يكتب اليه امرا بقبولهم بطريق الاستثناء وذلك صعب عليه جدا ولا بد من تنفيذه متى امضاه الرئيس فكتب اليه يرجوه ان لا يلت شيئا في المسألة لا بالامر ولا بالوعده بل يرجي ذلك الى الاجتماع وكان الامر كذلك فاجتمع مجلس الادارة وتناقشوا فيها وكان من رأي بعضهم تغيير ما فرضه قانون المدارس في السن فلم حسن باشا بذلك فتشدد رحمه الله تعالى في المحافظة على القانون وعدم قبولهم وكتب الى الامام كاتبا يستقبل به من ادارة المدارس ان تغيرت مادة تحديد السن في القانون - وبمد طول المناقشة تقرر باغلب الآراء تنفيذ رأي الرئيس وهو الاستاذ الامام بقبول أولئك الاولاد بطريق الاستثناء وارضاه الوكيل ومدير المدارس بوعده المجلس له بأن يكون هذا الامتناء قاصرا على هؤلاء الاولاد لا يمتداهم الى غيرهم ولا يطلب ادخال غيرهم باستثناء آخر

في ذلك اليوم الذي قرر فيه مجلس ادارة الجمعية ما ذكر ذهبت الى مكتب الجمعية لمقابلة الاستاذ الامام عند خروجه فرأيت خارجا مع بعض اعضاء المجلس وعلمت ما تقرر . ولما كتب المؤيد في ترجمة حسن باشا ما كتب كنت أشك فيما أعلم فراجعت درويش بك سيد احمد امين الجمعية ( سكرتيرها ) منذ وجدت فقلت له هل رأيت ما كتب المؤيد في ترجمة المرحوم حسن باشا قال نعم قلت له أن الذي علمته انا يومئذ مخالف لما في المؤيد - وذكرته له - فأبنا التناط ؟ فقال ان التناط هو ما جاء في المؤيد وما تذكره انت هو الذي وقع . وعجبت مما قال المؤيد ان حسن باشا كتب الى المرحوم الشيخ « لا تضع رجلك في المحلة » الخ وحسن باشا أعلى أدبا من ان يكتب ذلك لمن دون الشيخ في مكانته الذاتية وفي صداقته له فلا أدري من أين جاء المؤيد هذا

وجملة القول ان حسن باشا رحمه الله تعالى كان شديدا في المحافظة على النظام والقوانين كما كتبنا من قبل ولكن لم يكن مستبدا في الجمعية الخيرية ولا في غيرها وكيف يكون منبع النظام مستبدا ؟ وان أعضاء مجلس ادارة الجمعية كلهم من أهل



الاستئلال فما كانوا يقيمون له رأيا وإنما يقول كل واحد ما يظن أنه الصواب وكان كل شيء مختلفون فيه يقرر بأكثر الآراء ان لم يثقفوا كما هو نص القانون أقول سمعت حسن باشا رحمه الله تعالى يقول بعد ما بلغ أمر الأمير بعزله الحمد لله إني الآن صرت قادرا على ان أعطي الجمعية الخيرية حقها من الخدمة فان السراي كانت آخذة مقام وقي

وقد عين بعد ذلك وكيلا لدائرة القصر العالي وكانت مخرطة معثلة مسلوقة منهوبة قادارها بدقة ونظام يعجز عنهما سواء ممن قضوا أعمارهم في إدارة الأعمال الزراعية والإدارية والمالية . وعين مع ذلك مأمورا لركة الأمير محمد إبراهيم وهي تضاهي دائرة القصر العالي ثروة وأعمالا ومشاكل فضبطها أحسن ضبط . ولما تأسست الشركة الانكليزية المصرية الاتجار بالاراضي الزراعية كان - وهو من مؤسسيها - وكيل أعمالها وأدهش الافرنج بأعماله فيها على كثرة أعماله في القصر العالي وفي تركة لا مير محمد إبراهيم وفي الجمعية الخيرية ومدارسها . ثم عين مع ذلك عضوا في اللجنة الارادية لمدرسة القضاء الشرعي فكان لها من خدمته العظيمة الحظ العظيم . وقد أشرنا في الكلام عن اخلائه الى بعض عمله في جمعية احياء الدوم العربية التي كان وكيل رئيسها بل لم يكن لها بعد الاستاذ الامام رئيس سواء . كان يعمل هذه الاعمال كلها مع منتهى الدقة والاعتقان ، فيأله ولهم الرجال

وهنا أقول انني كنت أنتقد عليه كثرة العمل وأخاف ان ينهكه فيقتله ، وأنسى لجسمه النحيف ان يحمله ، وقد كان ما خفت ان يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، أصابه منذ أشهر ضيف في المعدة ترك لاجله أكل اللحوم كلها حاشا السمك وقد كان صام رمضان الماضي كله على الوجبة اذ لم يكن يتسحر فكلمته في ذلك غير مرة فقال لي انني جربت مرة فأكلت في السحور شيئا من الكفاة والفاكهة ثقلي علي وأصابني منه غثيان في النهار . وكنت أراه أحيانا بعد العصر من رمضان وقد ضمنت قوته وخفت صوته ، حتي لو استغفاني في الفطرا فتيه ، ولكن الله تعالى احب ان يكون ذلك خاتمة عمله فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأحسن عزاءنا عنه ، ونفنا بسيرته الحميدة عنه وكرمه

(المنار ١٠-١٠) رزية مصر بحسن باشا عبد الرازق ٧٩٣

حزب رزية مصر بحسن باشا عبد الرازق

حق لمصر اليوم ان تتمثل بقول الشاعر  
رمائي المهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال  
فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال  
يحق لمصر ذلك وقد رزئت بفقد الرجل العظيم حسن باشا عبد الرازق ولم  
يكن على قدمها لصديقه الكريم حسن باشا عامم الا شهر ونصف وعلى قدمها  
لصديقتها الاستاذ الامام الا سنتان وأشهر  
أولئك هم الرجال الماقلون الماملون المخلصون في مصالح  
ومواطن لا خلف لهم فيها تنعزى البلاد بادائه ما كانوا يؤدون كما كانوا يؤدون  
ولا تكفر نعمة الله على البلاد بمن بقي من اصدقائهم الماملين الصادقين الذي  
نجيل ابصارنا فلا نرى للواحد منهم كفوا ولا ندا يضارعه في عمله أو يفني  
غناؤه فيه بل يجب ان نشكر له تعالى هذه النعمة، مع الصبر على ما أصابنا من المصيبة،  
عسى أن يبارك لنا في أعمارهم، وينقنا بأعمالهم، فإن الصبر مجلبة الرحمة، والشكر  
مدعاة المزيد، ولكن «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» كما ورد في الحديث الشريف.  
ليس المنار شاعراً يرثي ولا خطيباً يرثي، ولا «ورخايدون» وإنما هو واعظ  
ومذكر، يستخرج العبر من حيث يجدها ويسوقها الى من غفل عنها أو جهلها،  
ولا عبرة أنفع بعد هداية الله من التذكير بفضل العاملين القادرين، على الوجه  
الذي يزيد اتناس معرفة بفضل العاملين الحاضرين، وينهض بهم المستعدين  
للناسي بأولئك ونصر هو لا.

أما كان حسن باشا عبد الرازق رجلاً - والرجال قليل - باستعداد الفطري  
ونشأته الدينية، فأما الاستعداد فهو الأصل في نبوغ كل رجل في الشرق حتى اليوم  
الا ما عساه يكون في البابان من حسن التعليم والتربية النظامية التي تنهض بضعف  
الاستعداد حتى يند من هو أعلى منه استعدادا اذا لم يصادف هذا من يريه كثيره  
نشأ من فقدنا اليوم نشأة دينية حتى أن الحكام المستبدين عجزوا عن حملها على



السكر ونحوه وهو في ربهان شبابه ، وغضاضة إهابه ، وقد كان مرة مع اسماعيل باشا المفتش واعوانه فأرادوه على الشرب معهم فتمنع فألحوا فاستعصم فأعطوه كأساً من الجعة ( البيره ) باسم « افندينا اسماعيل باشا » وحلفوا عليه به ليشر بن فأصر على التمتع فاستكبروا ذلك منه وطفقوا يرجعون اليه القول و يسر اليه بعضهم ما يراه وراء هذا التمتع من عاقبة إهانة الاسم الكريم ( اسم الخديو ) فسنت له حيلة لتخلص فاخذ الكأس فأدناها من شفثيه فألقاها متقرزا مكفها وهو يتقل ويقول : قطعت البيره وشاربوها : : : كيف تشربون هذا الشيء المر البشع الطعم وكيف تطيقونه : فقابلوا ذلك بالضحك والسرور ولم يعودوا الى عرضه عليه مثل هذه الواقعة يدها بعض النابتة المتفرنجية خشونة وحشية ( وقلة ذوق أيضا ) ولكن من أوتي نصيبا من الحكمة يدها آية النبوغ الكبرى لأن شرب كأس الجعة يهدم الدين فحفظ الرجل دينه بالامتناع عنه بل بدلاتها على قوة الارادة وعدم المبالاة بلوم اللائمين في العمل بما يعتقد وان كانوا كبارا فهذه هي دعامة الفضائل وأصل الكمالات التي يكون بها الرجال رجالا ولولا هذه المزية لما كان حسن باشا عبد الرازق ذلك الرجل الذي أحسن القول فيه أصحاب الجرائد التي تناهض حزبه السياسي الوطني وعدوه من أفراد الامة العاملين الذي يقل نظيرهم وما يقولونه هم وغيرهم من المارقين بأقدار الرجال بأسفهم أبلغ مما كتب وأكبر بموت هذا الرجل تكورت العبر التي ترشد الأمة والنابتة الجديدة منها خاصة الى ان الشرف الحقيقي والمجد الصحيح لا يكونان للانسان الا بأخلاقه وصفاته النفسية ، لا بماله ونسبه ، ولا بمشيرته ونسبه ، ولا بأوسمته ورتبه ، فقد مات في هذه السنين الثلاث الأخيرة غير واحد من أكابر الأمراء والعلماء والأغنياء ولم تكتب الجرائد في أحد منهم ولا قال الناس فيهم مثل ما كتب وقيل في تأييد الاستاذ الامام ثم صديقه حسن باشا عامر ثم صديقه حسن باشا عبد الرازق على انه كان لكل واحد من هؤلاء حالة سياسية تقضي باحتراس بعض الجرائد وعدم إرخائها العنان لقلم في تأييدهم مرضاة أو مراعاة لمن هم في جانب عنهم . فوصف كل واحد منهم بما وصفته تلك الجرائد به لا يمكن ان يد من قليل المبالغة بل كنا نعلم ان ما علم من فضلهم أكثر مما قيل وما كتب

## (المنار ١٠-١٠) قول الجريدة في المنار والاحتفال به ٧٩٥

خدم حسن باشا عبد الرازق أمته في حسن سيرته في قومه وفي مجلس الشورى  
وفي تربية أولاده النجباء وسنين ذلك في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



## سجل أقوال

### (الجرائد اليومية في الاحتفال بالمنار)

علمنا ان بعض قراء المجلة في غير هذا القطر يحبون أن تنشر في المنار أقوال  
الجرائد المصرية في الاحتفال بالمنار فرأينا ان نوافي المحب ولو ببعض ما يجب . وقد  
كتبنا الجرائد الشيرة شيئاً في ذلك قبل الاحتفال وبعده واكتنا لم نحفظه بل لم  
نطلع على كل ما كتب . فما كتب قبل الاحتفال ما جاء في العدد ٢٢١ من الجريدة  
الصادر في ٢١ شوال

### عيد المنار

تهنيء « الجريدة » هذه المجلة العلمية التي كم لها من موقف مشهور في الدفاع  
عن الحقائق العلمية والمذاهب المتينة في أبواب الشرع الشريف . وكم لها من  
التنبيه الرشيد على وجوب التمسك بالآداب العالية وبند التقاليد التي ما أنزل  
الله بها من سلطان

تهنيء العلم وفن الكتابة في شخص مجلة المنار التي فتح الله عليها بالاثبات  
النادر لأمثالها في الشرق فانها ستتم بعد الفد السنة العاشرة من عمرها . ونودعو  
لها بطول البقاء قائمة على خدمتها الارشادية حاملة على الدخائل التي ظن القوم انها  
من الدين وليست منه في شيء . ولا شك في ان من يقف مثل هذا الموقف  
غير المؤلف عند العوام كما وقف السيد محمد رشيد رضا نفسه على خدمة الحق من  
غير مبالاة بمصاعب - لولا اثبات - تذهب بزيمة القائم بها . فمن يعلم مقدار



## ٧٩٦ قول الجريدة في المنار والاحتفال به (المنار ١٠-١٠)

هذه الصعوبات كما نعلم لا يتردد في أن يزف التهئة للمنار بمناسبة هذا العيد  
ولقد كان زميلنا الأستاذ اسماعيل بك عاصم أول الشاعرين بهذا الواجب  
فانه قد نوسه الاحتفال بهذا العيد اذ دعا الى منزله أصحاب المجلات العلمية  
وكتابه في مساء الخميس ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٩٠٧  
فتسأل المنار ان يحياه الله اعواماً كثيرة ونشكر ثبات منشئه على الحق وفضل  
المحتفل على حسن اعتداده باقامة منارات العلم والعرفان  
ثم كتب في الجريدة بعد الاحتفال ما يأتي (نقل عن العدد الصادر في ٢٦ شوال)

## الاحتفال بمجلة المنار

للقلاء كلمة واحدة على أن الديانات مصلحة للنفس وناحية بها مناجي  
الخير وكذلك اتفقوا على ان الديانات الثلاث المعروفة في ديارنا هذه لا تضاد  
بينها في الحقيقة ونفس الأمر وانما يوجد في كل متأخرة منها عن أختها بعض  
زيادات اقتضاها تدرج الانسان أو بعض تفاسير لما فهم من نصوص ما قبلها  
لا خلاف في هذا بين أولي الألباب من أصحاب هذه الديانات على تخالف  
رسومها الظاهرة وتقاليدها في تلقين العقائد التسليمية كما لا خلاف بينهم في ان  
التقاليد التي هي في كل دين بعيدة عن أصله وغريبة عن طبعه هي مفسدة بأهل  
وان مقاومتها وازهاق روحها بعد اصلاحاً كبيراً في الأمم يستحق القائلون به  
أعظم شكر وأجزل مكافأة أدبية

ولدينا الآن مثال جديد على ما قدمنا فان حضرة الأصولي الفاضل اسماعيل  
بك عاصم خطري في باله خاطر شريف وهو ان يقوم بخدمة جليلة للاصلاح بتكريم  
أهله ووجد من المناسب لهذا ان يقيم احتفالاً لمجلة المنار الاصلاحية بإتمامها  
عقداً من العمر (عشر سنين) فدعا لمنزله حضرات أصحاب المجلات العلمية  
ومحرريها مساء يوم الخميس فلبوا دعوة وانتظم في منزله عتدم فيهم المسلمون  
والمسيحيون والموسويون وقدم لهم مائدة فاخرة وبعد الطعام قام فألقى خطبة لينة  
حتى اذا أتمها قام حضرة العالم الفاضل منشي المنار فأجابه بكلمات في منتهى  
البلاغة فزاد رفعة في أعين الحاضرين ذلك التواضع الذي اشتهت عليه هذه

الكلمات . وتلاه حضرة الدكتور يعقوب افندي صروف منشيء المقتطف  
فذكر في خطبته مثل ما قدمناه من فوائد الديانات اذا احسن تفسيرها والقيام  
بها حق القيام وقوة كثيراً بفضل منشيء المنار وحسن خدمته الانسانية بخدمة الدينونة  
ثم خطب الأديب توفيق افندي عزوز صاحب المفتاح فأجاد . ثم الأديب  
سيد افندي محمد صاحب المجلة المدرسية وذكر في خطبته ما لاقاه السيد رشيد  
من الصعوبات في نصرة الحق وقال ان مخالي المنار قد انتصوا به . وانتهت هذه  
الحفلة باجماع الحاضرين وهم نحو عشرين قاضياً على ان ما قام به حضرة اسماعيل  
بك من تكريم المسلم على هذه الصورة يستحق أعظم شكران فخرجوا وهم بلسان  
واحد يلهمون بالثناء ويتحدثون باهتمامه بالعلم والطلبة  
ونحن نشارك بشكر حضرة الفاضل اسماعيل بك ونسفي ان تسري وتعم  
هذه الروح الشريفة روح تكريم العلم بشكرهم رجالة وزجرات يكون لهم  
حضرة فاتحة جميلة لأمثاله

وجاء في عدد الأهرام الذي صدر في غد يوم الاحتفال مانعه :  
( حفلة أدبية )

أقام أمس في داره العامة حضرة الكاتب الفاضل والمهامي المشهور  
اسماعيل بك عاصم مادبة شائقة اكراما لحضرة العالم العامل السيد رشيد  
رضا واحتفالاً بمرور عشر سنوات كاملة على مجلته المشهورة والمنارة وقد دعا الى  
الحفلة اصحاب المجلات المصرية ومحربيها وألقى عليهم خطبة نقيصة ذكر فيها ما أثر  
السيد رشيد في مباحث مجلته الزهراء التي هي أكبر أمثلة الاجتهاد المناق للتعليد  
لجامد في الدينيات والدينيات وتطرق من ذلك الى ذكر خصال المومى اليه  
لكرامة من فضل وفضيلة وآداب وبعد نظر والى معاشرته اياه مدة ثمانية سنوات  
متوالية . وبين ضرورة احتفاء الامة بأصحاب المجلات الراقية بها ووجوب تشجيعها  
لهم وما يطالبون به ويرجون له ازاء ذلك من كشف الحقائق وتأيدها بالاعمال  
الوطني والاجتماعي



## ٧٩٨ قول جريدتي الظاهر والمؤيد في الاحتفال بالمنار (المنار ١٠-١٠)

وجاء في أواخر الخطبة قوله :

«ومن أبدع ما رأيته ان سعادة العالم الفاضل أحمد فتحي باشا زغول استشهد في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصحيفة السابعة بشذرات من فائحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها وحازت الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها»

ونحن نشي على حضرة الداعي والمدعو ونسأل الله أن يكثر من هذه الاربحية في صدور وجهائنا وفضلائنا

وجاء في جريدة الظاهر مانصه :

أرسل الينا حضرة عزتو الأصولي البارع اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير خطبته التي ألقاها في الحفلة التي أعدها أخيرا في داره لعملاء الكتاب أصحاب المجلات المصرية ومحريها بآتمام مجلة المنار لسنة الماشرة من عمرها . وقد افتتحها حضرته بمقدمة أمل فيها ان تكون الحفلة فاتحة لامثالها في المستقبل ثم استطرد منها الى ذكر مجلة المنار وخدمتها العلمية والدينية واخلاق صاحبها وعلمه وأدبه مبيّنا ان تقدير الماملين تنفع الامة وخدمتها ونشجعهم على أعمالهم حسا ومعنى مما يزيد في رقي البلاد وتقدمها وختمها بالشكر على الذين أجابوا الدعوة وحضروا الحفلة فنشكره أجل شكر على حسن صنيعه هذا ونرجو ان يقتدي به أدباء الامة وأفاضها لتكون الفائدة أعم والنفع أتم

وجاء في المؤيد الذي صدر في ٢٥ شوال ما يأتي

احتفل حضرة القاتوني الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي ايلة الجمعة في داره بالعباسية بدخول مجلة المنار في سننها الماشرة احتفالا شائقا دعا اليه أرباب المجلات المصرية وبعد الطعام خطبهم حضرة المحتفل في فضل المجلات واستطرد الى ذكر المجلة المحتفل بها وعدد فضل صاحبها فاجابه حضرة صاحب المنار بعبارة الشكر وأثنى على رصفائه الحاذرين أطيب الثناء ثم قام بعض أرباب المجلات وخطبوا أيضا بما يناسب وقيل منتصف الليل انصرف المدعوون داعين اصحاب المنار الجديد

ومجته ومثني على مرونة صاحب الدعوة ووقائه ومتواعدين أن يجتمعوا في خلال هذا الشتاء اجتماعات أخرى للبحث فيما ينفع البلاد ويرقي شأن العلم فيها

وجاء في جريدة مصر في غد يوم الاحتفال ما نصه

### الاحتفال الادبي الكبير

دعا حضرة الأصولي الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير مساء أمس الى حفلة أدبية أقامها في منزله بالمباسة لحضرات أصحاب المجلات العلمية الأدبية لمناسبة دخول مجلة المنار في سنتها العاشرة وتمهيداً لمواصلة هذه الاجتماعات الأدبية لتكون واسطة في زيادة التآلف والتعارف بين جماعة المشتغلين بالصحافة فلبى دعوته جميع أصحاب هذه المجلات الا واحداً أو اثنين اعتذرا عن عدم الحضور لأسباب قسرية فكان عدد الحاضرين منهم لا يقل عن العشرين وكانهم من كبار رجال الصحافة المشهورين وهم أصحاب المقتطف والهلل والمفتاح والمنار والمقتبس ومجلة سر كيس والهدى وحكمة ومرآة العلوم ومجلة الاجتهاد الفكرية ولما انتظم عقد اجتماعهم أخذوا يتبادلون عبارات التحية والمودة ويتباحثون في ما يرقى شأن مهنتهم ويطلعي مكاتبتها ثم دعاهم حضرة المحتفل الفاضل الى قاعة الطعام التي كانت في أبهى زخرفها وزينتها حيث اجتمعوا حول مائدة فاخرة على الطراز الأوربي فتناولوا ما لذ وطاب ثم انبرى الخطباء منهم وهم حضرات اسماعيل بك عاصم والدكتور يعقوب صروف وفارس نمر صاحب المقتطف وتوفيق افندي عزوز صاحب مجلة المفتاح والسيد افندي محمد صاحب مجلة الهدى والمجلة المدرسية فتكلموا بما يناسب المقام فهنوا المحتفل به على تقدم مجلته وارتقاها وأثنوا على حضرة اسماعيل بك عاصم الذي كان واسطة عقد هذا الاجتماع وتمنوا جميعاً ان تكثر بينهم مثل هذه الاجتماعات الادبية المفيدة ثم نهض حضرة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار فأثنى على المحتفلين به جميعاً وأظهر لهم خجله من احتفالهم به واكرامهم له عن غير جدارة واستحقاق ببارات كلها في منتهى البلاغة وحسن التعبير ومن ثم انصرف الجميع وكلهم ألسنة تلهج بالشكر



والثناء على صاحب هذه الحلقة بعد أن قرروا إعادة مثل هذا الاحتفال الصحافي مرة في كل شهر لما ينجم عن ذلك من الفائدة وانفع

وجاء في المقطم الذي صدر في غد يوم الاحتفال ما نصه :  
أولم حضرة الخطيب الشير والاصولي الفاضل اسمعيل بك عاصم أمس مساء وليلة فاخرة في منزله بالعباسية لحضرات أصحاب المجلات الطبية والأدبية في هذه العاصمة احتفالاً بدخول مجلة المنار الفراء في صفها العاشرة ومدّ لهم مائدة مزدانة بالاثمار من دمشق الشام وحلب وبيروت ولبنان وادار الندل ( هو بضمين خدم الدعوة ) عليها مائدة وطاب من الطعام المتعدد الألوان ولما انتهى المدعوون من العشاء وقف سعادة الفاضل صاحب الدعوة وسط جمع كله من رجال العلم وارباب القلم خطب عليهم خطبة غراء رنانة نشرناها برمتها في هذا العدد ليطلع القراء الحرام عليها . ثم وقف حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضى المحتفل به ورد على تلك الخطبة رداً كله اتضاع واحتشام بكلام قلّ ودلّ ووقع في النفس وقماً حسناً وتلاه آخرون من المدعوين فخطبوا في مدح المحتفل والمحتفل به واظهروا فوائد مجلة المنار وشهدوا بالفضل لصاحبها المفضل ثم اتفق المدعوون على أن يجتمعوا للانس والسر وتوثيق عرى المودة والصداقة مراراً في هذا الشأن ويبحثوا في غضون ذلك عن أحسن الطرق التي تتجه مساعيهم فيها لخير الجمهور ونفع أهل القطر

وجاء في جريدة المنبر الصادرة في ٢٧ شوال ما نصه :  
فأنتا أن نشير الى الاجتماع الأدبي الذي عقد في منزله مساء الخميس الماضي حضرة صاحب العزة اسمعيل بك عاصم الهاشمي الشير احتفالاً بانعام مجلة المنار الفراء لسنة العاشرة من سني حياتها لقد كان جامعاً لنخبة أهل الفضل من أصحاب المجلات المصرية ومحرريها حافلاً بالثائق والمعجب من الآراء والأفكار وقد استهلّ الاحتفال حضرة صاحب الدعوة بخطبة في اطراء حضرة المحتفل به وفي شؤون آخر ثم خطب على أثره بعض المدعوين في تكريم حضرة الأستاذ النافع صاحب المنار وتأثير المجلات الطبية في ترقية الأفكار والآراء فمن ثني على حضرة المحتفل وتسمى للمنار ولسائر المجلات النافعة للحياة والنبات